

الأنوار البهية

من إسراء ومعراج خير البرية

دروس وعبر... مشاهد وصور

تأليف

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام



الأنوار البهية

من إسراء ومعراج خير البرية

بسم الله الرحمن الرحيم

ح محمد علوي المالكي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المالكي ، محمد بن علوي بن عباس

الأنوار البهية من إسراء ومعراج خير البريّة./محمد بن

علوي بن عباس المالكي- ط٣. - مكة المكرمة ، ١٤٢٤ هـ.

١١٢ ص ، ١٤,٥ × ٢١,٥ سم

ردمك : ٤ - ٥٩٥ - ١٠ - ٩٩٦٠

١ - الإسراء والمعراج ٢ - السيرة النبوية

أ - العنـــوان

ديوي ٢٤٢ ١٤٢٤/٣٩٣٧

رقم الإيـداع : ١٤٢٤/٣٩٣٧

ردمك : ٤ - ٥٩٥ - ١٠ - ٩٩٦٠

الطبعـة الثالثـة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

الأنوار البهية

من إسراء ومعراج خير البرية

دروس وعبر... مشاهد وصور

تأليف

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي الأخرىٰ، وأسرىٰ به ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ فَأعْظِم بذلك فخرا، وَقدّمهُ جبريل فصلّىٰ بالأنبياء والمرسلين لِيُعلِمَ به أنه الإمام الأعظم، وأنه بذلك المقام أَحرىٰ، ثم رقيَ إلىٰ السموات العُلا إلىٰ سدرة المُنتهىٰ، فظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ورأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ، وتجلّىٰ له وخاطبه وَثبّتَ فؤاده وأعطاه سؤله وَأَعظم له بذلك أجرا، فسبحانه من إلهٍ نَزّهَ نفسه بنفسه في مقام الإنباء عن الإسرا، فقال جَلّ ذِكرهُ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾.

وأشــهد أن لا إلــه إلاَّ الله وحــده لا شــريك لــه شــهادة تتــوالىٰ علينــا إمــداداتها تَتــرىٰ، وأشــهد أنَّ سـيدنا محمــداً عبــده ورســوله الــذي بعثــه رحمــةً للعالمين وكنزاً لهم وذخرا، صَـلّىٰ الله عليـه وسـلم وعلىٰ آله وصحبه وتابعيهم، خصوصاً وارثيه الـذين أشاد الله تعالىٰ لهم في الخافقين ذكرا.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الذِّكرىٰ تَفرضُ نفسها

وبعد:

فقد جرت العادة أن نجتمع لإحياء جُملةٍ من المناسبات التاريخية، كالمولد النبوي، وذكرىٰ الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، والهجرة النبوية، وذكرىٰ نزول القرآن، وذكرىٰ غزوة بدر، وفي اعتبارنا أنَّ هذا الأمر عادي لا صِلةَ له بالتشريع الحكمي، فلا يُوصَفُ بأنه مشروع أو سُنّة، كما أنه ليس مُعارِضاً لأَصلٍ من أصول الدِّين، لأنَّ الخطر هو في اعتقاد مشروعية شيء ليس بمشروع.

وعندي أنَّ أمثال هذه الأمور العادية العُرفية لا يقال فيها أكثر من أنها مَحبوبةٌ لدىٰ الشارع أو

مبغوضة، وَأظنُّ أنَّ هذا القدر مُتّفقٌ عليه، وَيدّعِي البعض أنَّ هذه المناسبات التي يَجتمعُ الناس لإحيائها؛ ينقصها التوقيت المضبوط المتفق عليه فيقول: إنَّ الناس تعودوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين من رجب لإحياء ذكرىٰ الإسراء والمعراج، وأن يجتمعوا ليلة الثاني عشر من ربيع الأول لإحياء ذكرىٰ المولد النبوي، مع أنَّ العلماء اختلفوا في تعيين وقت هاتين الحادثتين بالضبط.

وأنا أقول:

إنَّ عدم الاتفاق علىٰ تعيين الوقت لا يؤثر، لأننا لا نعتقد مشروعية تحديد الاجتماع بوقت مخصوص، بل الأمر عادي كما أسلفنا، والذي يُهِمُّنا هو اغتنام فرصة الاجتماع، وكسب ذلك لتوجيه النصيحة والإرشاد، فهذه الليلة قد اجتمع الناس فيها بشكل كبير وعظيم، وسواء أخطؤوا في التوقيت أم أصابوا، فإنّ مجرد اجتماعهم هذا علىٰ

ذكر الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كافٍ في استجلاب رحمة الله وفضله.

ولا شك أنَّ اجتماع هؤلاء الناس ما دام أنه لله وفي الله، فإنه مقبول عند الله ولو أخطؤوا في التوقيت، لأنه ليس عبادة مُؤقّتة بزمان أو محددة بكيفية، بل هو كما قلنا عادة محمودة، وفعل مَشكورٌ مَبرورٌ إن شاء الله.

فاغتنام فرصة الاجتماع بالدعاء والتوجه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ والتعرض لنفحاته وخيراته وبركاته هو عندي أجل من فائدة الذِّكرىٰ نفسها، واغتنام اجتماع الناس بتذكيرهم وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم إلىٰ الخير؛ هو أولىٰ من صَدِّهم وَرَدِّهِم والإنكار علىٰ اجتماعهم بما لا طائل تحته، إذ المُشَاهَدُ أنَّ ذلك لا ينفع ولا يفيد، وأنَّ الناس يزيد إقبالهم ويشتد تمسكهم كلما زاد الإنكار عليهم، أو اشتد حتىٰ كأنَّ الناهي لهم عن ذلك؛ آمر لهم بفعله

من حيث لا يشعر.

إنَّ العقلاء من أرباب الفكر والدعوة، يتمنون بكل قلوبهم أن يجدوا مكاناً يجتمع فيه الناس، لِيَبثُّوا فيهم آراءهم ويكسبوهم إلىٰ صفهم، ولذلك تراهم يرتادون الحدائق والنوادي والأماكن العامة التي يكثر فيها اجتماع الناس، ليصنعوا بهم ما يريدون، ونحن نرىٰ الأمة تجتمع في مناسبات متعددة برغبة وَهِمّةٍ وحرص.

فالواجب علينا استثمار مثل هذه الاجتماعات بتوجيههم إلىٰ الخير والمعروف والإحسان والتمسك بما يجب عليهم.

العِنايةُ بالسِّيرةِ وصَاحِبها

هذا؛ وقد اعتنىٰ العلماء المسلمون والمفكرون والباحثون عامة بالجناب المحمدي وما يتعلق به وقاموا بالتأليف والبحث والتحقيق بهمة قوية، وجدّوا في ذلك كُلَّ الجِد، وبذلوا كُلّ الاهتمام، وهو وإن كان لا يفي بحق هذه الشخصية الكريمة الجليلة العظيمة، ولا يُعطي لهذا المقام حَقّهُ اللائق به الذي أنزله مولاه في المكانة العظمىٰ الفريدة الوحيدة، لكنه في الحقيقة يُعتَبر أعظم ما شَهِدهُ التاريخ في جميع أطواره من عناية واهتمام؛ لم يحصل مثله لأي شخصية في الدنيا سوىٰ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تحدَّث القرآن الكريم والسُّنّة النبوية عن

حادثة الإسراء والمعراج باعتبارها جزءاً من السيرة النبوية، وعليها يدور محور كل ما ألَّفه علماء الإسلام في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص الإسراء والمعراج، وما شاهده أثناءهما من الأمور الخارقة التي لم يخص الله بها أحداً من الأنبياء والرسل، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

* * * * *

حول تفسير آية الإسراء في القرآن

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا . . .﴾ الآية .

وسبب نزولها : هو الرد علىٰ المشركين المكذبين بالإسراء لما أخبرهم به النبي ﷺ، (وسبحان الله) أي تنزيه الله عن كل سوء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. [سورة الشورىٰ: ١١].

وقد أجمع المسلمون علىٰ أنَّ المراد بالعبد هنا هو سيدنا محمد ﷺ، وقال هنا ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ لأنَّ وصفه بالعبودية المضافة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أشرف المقامات، وليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية، فلهذا أطلقها الله تعالىٰ علىٰ نبيه في أشرف المواطن كقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة الكهف: ١]، وقوله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان: ١]، وقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٠]. فالعبد في كل هذه الآيات هو سيدنا محمد ﷺ.

مَعلُوماتٌ أَوَّلية

وقد اتفق العلماء علىٰ أنَّ الإسراء والمعراج كان بعد البعثة، واختلفوا في تحديد زمن ذلك، فقال بعضهم: هو قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل الهجرة بخمس سنين، وكان في رجب ـ وهو المشهور ـ، وقيل: في رمضان، وقيل: في ربيع الأول.

وكان في ليلة الاثنين، وهو يوم المولد، ويوم المبعث، ويوم الهجرة، ويوم الوفاة، فهو يوم أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوة، ومعراجاً وهجرة ووفاة.

وقد اتفق العلماء علىٰ أنَّ الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً يقظةً لا مناماً، ويدل علىٰ ذلك ظاهر الآيات، وصحيح الأخبار الواردة فيه، وهو أمر مُمكِنٌ عقلاً، والقدرة الإلهية صالحة لذلك،

ويدل عليه قوله تعالىٰ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد حقيقة هو الروح والجسد، ويدل عليه أيضاً قوله تعالىٰ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٧] أي ما عَدلَ عن رُؤيةِ ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت وما جاوزها، وهذه الآية تدل بصراحة ظاهرة على كونه بجسده يقظة، لأنه أضاف الأمر إلىٰ البصر، وهو لا يكون إلاَّ يقظة بجسده بشهادة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ١٨]، ولو كان مناماً؛ لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تُورِثُ صِدقه وإن كانت رُؤيا الأنبياء وحياً، إذ ليس في الرؤيا المنامية من الأبلغية وخرق العادة ما في اليقظة، وأيضاً لو كان مناماً لما استبعده الكفار، ولا كَذّبُوه، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به؛ لبعده عن ساحة العادة ووقوعه في زمن يستبعد فيه جدًّا، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر؛ بل إنَّ تكذيبهم واستبعادهم وارتدادهم هو أقوىٰ

دليل علىٰ أنهم فهموا من صاحب المعراج ـ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ أنَّ خَبرهُ إنما كان عن رِحلةٍ حَقيقيةٍ بالجسم حال اليقظة التامة التي لا شك فيها.

وقد رَوىٰ البخاري في «صحيحه»، وسعيد بن منصور في «سننه» عن ابن عباس في قوله تعالىٰ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء: ٦٠]، قال: هي رُؤيا عين أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلة أسري به[١].

زاد سعيد: وليست رؤيا منام.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير)، «باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾»، حديث (٤٧١٦).

وانظر «فتح الباري» (٨/ ٣٩٨).

نُقطَة الانطِلاق إلىٰ الأقصىٰ

وقد كان الإسراء من المسجد الحرام بعد أن جاءه جبريل إلىٰ البيت الذي كان فيه، وأخرجه إلىٰ المسجد الحرام، إلىٰ الحِجْر، ثم قام بعملية شَقِّ الصدر، ثم ذهب به إلىٰ البراق فركب وانطلق به في رحلته الميمونة.

وجاءت هذه الرحلة الميمونة علىٰ سبيل المفاجأة له صلى الله عليه وسلم من غير ميعاد سابق، ولا استعداد لها من قبل، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله: «**بينما أنا**» فالقضية كانت فجأة من غير خَبَرٍ سابق، أو إشارةٍ مُتقدِّمة.

بخلاف المناجاة التي كانت مع سيدنا موسىٰ عليه السلام، فإنها كانت بميعاد سابق كما قال

تعالىٰ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الآية [سورة الأعراف: ١٤٢].

* * * * *

شَقُّ الصَّدرِ

وقبل الانطلاق في هذه الرحلة الميمونة، قام جبريل بشقٍّ صدره الشريف، وغسله ثلاث مرات بماء زمزم، يُعَاونه في ذلك ميكائيل، وهذه العملية (عملية شق الصدر) وقعت له صلى الله عليه وسلم أربع مرات:

الأولىٰ : وهو صغير في بني سعد

الثانية : وهو ابن عشر سنين

الثالثة : عند البعثة

الرابعة : ليلة الإسراء

وهذا الشق ثابت بِطُرقٍ صحيحة، وهو حقيقي لا يصح تأويله وحمله علىٰ الأمر المعنوي، بل هو شَقٌّ حَقيقيٌ محسوس، والله

علىٰ كل شيء قدير.

وخوارق العادات لا تقاس بالعقول، وذكروا أنَّ جبريل لما استخرج قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغسله بماء زمزم؛ نزع ما كان به من أذًى، وفي رواية: أنه أخرج من قلبه علقة سوداء، وقال: «هذه حظ الشيطان منك»، قال الشيخ الدردير: أي مَحَلُّ وسوسته منك وتسلطه، لو كان له عليه سبيل.

والمقصود: تحقيق إظهار كمال باطنه كما برز كمال ظاهره، قال الإمام العارف بالله السيد علي الحبشي في قضية شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه كما جاء في الأخبار والآثار:

وما أخرجَ الأملاكُ مِن قلبهِ أذىٰ
ولكنـهم زادوه طُهْـراً علىٰ طُهْرِ

ووقع في قلبي معنًى آخر، وهو: أنَّ قلب سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم مملوء بالرحمة، بل هو منبعها وأصلها، كما قال الله تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، وهذه رحمة شاملة كاملة، لأنها رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ أخرج الشيطان وأعوانه وإخوانه ومن قُدِّر عليه الشقاء من هذه الرحمة، فلا نصيب لهم فيها، ولا شيء لهم منها.

ويكون المعنىٰ حينئذ: أنهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان من رحمته، فلا حَظَّ للشيطان في هذه الرحمة، والله أعلم.

* * * * *

خَاتم النُّبوة

وبعد أن شَقَّ جبريل صدره وغسل قلبه وملأه حلماً وعلماً ويقيناً وإسلاماً، ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، وهو قطعة لحم صغيرة بارزة عليها شعر، عند أعلىٰ كتفه الأيسر.

والحكمة في وضع خاتم النبوة علىٰ جهة الاعتبار: أنه لما مُلِئَ قلبه إيماناً وحكمة ويقيناً، خُتِمَ عليه كما يُختَم علىٰ الوعاء المملوء مِسكاً وَدُرّاً، فجمع الله تعالىٰ أجزاء النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ وختم عليه بختمه، فلم يجد عدوه سبيلاً إليه من أجل ذلك الخاتم، لأنَّ الشيء المختوم محروس، وكذلك تدبير الله تعالىٰ لنا في هذه الدار إذا وجد أحدنا الشيء بختمه؛ زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الآدميين.

فكأنَّ هذا الخاتم يعطي إشارة واضحة جلية إلىٰ أنَّ قلبه صلى الله عليه وسلم محفوظ محروس، وتدل الأحاديث علىٰ أنَّ هذا الخاتم كان موجوداً من قبل، والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ وبه أثره، ثم لم يزل يكبر حتىٰ صار قَدْرَ بيضة الحمامة بعد شَقِّ الصدر ليلة الإسراء والمعراج جمعاً بين الروايات.

والذي يظهر أنه خُصَّ به صلى الله عليه وسلم لمعانٍ: منها: أنه إشارة إلىٰ أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره، ولأنَّ باب النبوة خُتِمَ به فلا يُفتح بعده. ورَوىٰ الحاكم عن وهب بن مُنبّه، قال: «لم يبعث الله نبيّاً إلاَّ وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنىٰ، إلاَّ أن يكون نبينا محمد ﷺ، فإنَّ شامة النبوة كانت بين كتفيه»[1]. اهـ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر النبي الكليم موسى بن عمران وأخيه =

فَعلىٰ هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي ﷺ مما اختص به عن الأنبياء، وقيل: إنَّ خاتم النبوة رُفع عند وفاته صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

هارون بن عمران حديث (٤١٠٥).

البُراق

وركب صلى الله عليه وسلم البراق، والبُراق ـ بضم الباء الموحدة ـ مأخوذٌ من البريق، بمعنىٰ البياض، لأنَّ لونه أبيض، وهو أشرف الألوان، أو من البَرْقِ لسرعة سيره، أرسله الله تعالىٰ له من الجنة إجلالاً وتعظيماً، علىٰ عادة الملوك إذا استدعوا عظيماً بعثوا إليه النجيب مُهَيّأً، مع أعزِّ خَواصِّهم للحضور، فهو من عالم الغيب.

ولم يكن الإسراء علىٰ أجنحة الملائكة، أو الريح كما كانت تحمل سليمان، أو الخطوة كطي الزمان، لأنَّ المراد إطلاعه صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ الآيات الخارقة للعادة، والمرور علىٰ المشاهد اللطيفة والمواقع الشريفة والآيات

العجيبة، ولا عجب في حمل الملائكة أو الريح بالنسبة إلىٰ قطع هذه المسافة، بخلاف قطعها علىٰ دابة بهذا الحجم المَحْكِي عن صفتها، والله سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ أن يرفع نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم بدون البراق، ولكن الركوب وصفة المركوب؛ تَأْنِيسٌ في هذا المقام العظيم بِطَرَفٍ من العادة.

ولعل الإسراء بالبراق إظهار للكرامة العرفية، فإنَّ الملك العظيم إذا استدعىٰ وليًّا له وخصيصاً به وأشخصه إليه؛ بعث إليه بمركوب سَنيٍّ مخصوص فريد متميز يحمله عليه في وفادته إليه.

* * * * *

مواقعُ مُبارَكة

ويمضي موكبه الميمون صلى الله عليه وسلم فيمرُّ على مواقع مباركة مُشرّفة، **فمنها** ـ وهي أوّلها ـ أرض ذات نخل، فقال له جبريل: «**اِنْزِلْ فصَلِّ ههنا**»، فنزل فصلّى ثم ركب، فقال له جبريل: أتدري أين صَلَّيْتَ؟ فقال: «**لا**»، قال: صَلَّيْتَ بطيبة وإليها المُهَاجَرَة.

ثم انطلق البراق بسيد الكونين إلى أن وصل مَدْيَنَ، عند شجرة موسى التي استظل تحتها حين خرج من مصر، فقال له جبريل: «**اِنْزِلْ فصَلِّ**»، فنزل فصلّى.

ثم انطلقوا إلى طور سيناء حيث كلّم الله موسى، فقال له جبريل: «اِنْزِلْ فصَلِّ»، فنزل فصلّى، ثم

ركب إلىٰ أن بلغ أرضاً فبدت له قصور الشام، فقال له جبريل: اِنْـزِلْ فصَـلِّ، ففعـل، ثم ركـب فـانطلق البراق به، فقال: «**أتدري أين صَلَّيْتَ؟**» قـال: «**لا**»، قال: «**صَـلَّيْتَ ببيـت لحـم حيـث وُلِـدَ عيسـىٰ ابـن مريم**».

وفي نزوله صلى الله عليه وسلم في هـذه المواقـع وصلاته بها: دَليلٌ كَبيرٌ علىٰ ربطها بالإسـلام، وبـنبي الإسلام وانضوائها تحت لوائه وعهدته، وأنَّ الإسلام هو الرسالة المهيمنة الخاتمة لكل الرسالة السابقة.

وفي ذلك أيضاً فتح لباب الاعتناء بالآثـار الدينيـة الـتي تـرتبط بحـوادث عظيمـة، ووقـائع كريمـة، وذكريات فاضلة قديمة، وأنَّ إحياء ذلك يكون بشـكر الله تعالىٰ علىٰ نعمه وفضله بالعبادة، والدعاء والـذِّكر والتَّفكر فيما يعود على الإنسان بالمنفعة والخير.

* * * * *

مَشاهِدُ أَوّلية

ويمرّ الركب المحمدي الميمون بمشاهد متنوعة فبينما هو يسير علىٰ البراق، إذ رأىٰ عِفْريتاً من الجن يَطلبُهُ بِشُعْلَةٍ من نارٍ كلما التفت رآه، فقال له جبريل: «**ألا أُعَلِّمُك كلماتٍ تقولُهنَّ، إذا قلتَهنَّ طَفِئَت شُعلتُه وخَرَّ لِفِيه؟**»[1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلىٰ»، فقال جبريل: «قل: أعوذُ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يُجَاوِزُهنَّ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ[2]، من شَرِّ ما يَنزِلُ من السَّماءِ، ومِن شَرِّ

---

(١) طَفِئَت شُعلتُه وخرَّ لِفِيه: طفئت بفتح الطاء وكسر الفاء، وخر لفيه: أي انكب علىٰ فمه، أي سقط علىٰ وجهه ميتاً.

(٢) بَرٌّ ولا فاجرٌ: بر أي صالح تقي، ولا فاجر: أي فاسق غوي.

ما يَعْرُجُ فيها[١]، ومن شَرّ ما ذَرأ في الأرض[٢]، ومن شَرّ ما يَخرج منها، ومن فِتَنِ الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار[٣]، إلا طارقاً يَطْرُق بخير يا رحمن»، فانْكَبَّ لفِيه[٤]، وطَفِئت شُعلتُه.

فساروا حتىٰ أتوا علىٰ قوم يَزرعُون في يوم ويحصُدون في يومٍ، كلما حَصَدُوا عَاد كما كان، فقال: «يا جبريلُ، ما هذا؟»، فقال: «هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تعالىٰ، تُضَاعَفُ لهم الحسنةُ، بسبعِ مِئةِ ضِعْفٍ، وما أنفقوا من شيء فهو يُخْلِفُهُ».

---

(١) أي ما يصعد إليها من المعاصي الموجبة للغضب ونزول المحن والمصائب.

(٢) أي ما خلق.

(٣) أي حوادثهما.

(٤) أي هلك.

وَوَجَدَ ريحاً طيبة فقال: «يا جبريل، ما هذه الرائحةُ؟» قال: «هذه رائحةُ ماشِطَةِ بنتِ فرعونَ وأولادِها».

بينما هي تَمْشِطُ[١] بنتَ فرعونَ، إذْ سَقَطَ المُشْطُ فقالت: بسم الله تَعِسَ[٢] فرعونُ، فقالت ابنة فرعون: أَوَلَكِ رَبٌّ غيرُ أبي؟ فقالت: نعم، قالت: أَفَأُخْبِرُ بذلك أبي؟ قالت: نعم، فأَخْبَرَتْه فدعاها، فقال: أولكِ ربٌّ غيري؟ قالت: نعم، ربِّي وربُّكَ الله.

وكان للمرأة ابنان وزوج، فأرسل إليهم فراوَدَ المرأةَ وزوجَها أن يرجِعَا عن دينهما، فأبَيَا، فقال: إني قَاتِلُكما، قالت: إحساناً منك إلينا إنْ قَتَلْتَنا أن تجعلَنا في بيتٍ واحدٍ[٣]، فتدفِنَنَا فيه جميعاً،

(١) ـ بضم الشين وكسرها ـ أي تسرح شعر رأس بنت فرعون.

(٢) ـ بفتح التاء المثناة وكسر العين ـ أي خاب وخسر.

(٣) أي قبر واحد.

قال: ذاكِ لكِ بما لكِ علينا من الحقّ.

فأمر ببقرةٍ من نحاسٍ فأُحْمِيَت[١]، ثم أَمر بها لتُلْقَىٰ فيها هي وأولادُها، فأُلقُوا واحداً واحداً حتىٰ بَلَغوا أصغرَ رضيعٍ فيهم.

فقال: يا أمَّاه قَعِي ولا تَتَقَاعَسِي[٢]، فإنكِ علىٰ الحق، فأُلْقِيَت هي وأولادُها».

ثم أتىٰ علىٰ قوم تُرْضَخُ[٣] رؤوسهم، كلما رُضِخَت عادت كما كانت، ولا يَفْتُرُ[٤] عنهم من ذلك شيء، فقال: «يا جبريل، من هؤلاء؟» قال: «هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة

---

(١) أي بزيت وماء.

(٢) لا تتأخري.

(٣) ترضخ: تكسر وتدق بالحجارة أو غيرها.

(٤) لا يفتر: بوزن ينصر، ويصح بضم أوله وتشديد التاء المفتوحة بوزن يؤخر وبمعناه.

المكتوبة».

ثم أتىٰ علىٰ قوم علىٰ أَقْبَالِهِم رِقَاعٌ[١]، وعلىٰ أدبارهم رقاع، يسرَحون كما تَسرَح الإبل والغنم ويأكلون الضَّريع[٢] والزَّقُّوم[٣] ورَضْفَ جهنَّم[٤] وحِجَارَتها فقال: «من هؤلاء يا جبريل؟» قال: «هؤلاء الذين لا يُؤَدّون صدقاتِ أموالِهم وما ظَلَمَهم الله شيئاً».

ثم أتىٰ علىٰ قومٍ بين أيديهم لَحْمٌ نَضِيجٌ[٥]

---

(١) رقاع: جمع رُقعة، أي بقدر ستر القُبُل والدُّبُر..

(٢) الضريع: بفتح الضاد نوع من الشجر الشائك لايطيق الدواب أكله لخشونته.

(٣) الزقوم: نبت شديد المرارة، وقيل: ثمر شجر لا يوجد في الدنيا، وإنما هو من شجر النار.

(٤) رضف جهنم: بالراء المفتوحة والضاد الساكنة: جمر جهنم المحماة.

(٥) أي طيب.

في قـدورٍ، ولحـمٌ آخـرُ نِـيءٌ(١) خَبِيـثٌ، فَجَعَلُـوا يـأكلون مـن الـنيء الخبيـث، ويَـدَعُون(٢) النضـيجَ الطيبَ، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟**» قال: هذا الرجلُ من أُمتكَ تكونُ عندَهُ المَرأةُ الحَـلالُ الطيبـةُ، فيَـأتي امرأةً خَبيثَةً فيَبِيتُ عندَها حتىٰ يُصبِحَ، والمرأةُ تَقُـومُ من عند زَوجِهَـا حَـلالاً طيبـاً، فتـأتي رَجـلاً خبيثـاً فتبيتُ معه حتىٰ تُصبحَ».

ثم أتىٰ على خَشَبَةٍ علىٰ الطريقِ لا يَمُرُّ بها ثـوبٌ ولا شيءٌ إلاَّ خرَقَتْه، فقال: «**مـا هـذا يـا جبريـل؟**» قال: «هذا مَثَلُ أقوامٍ من أُمَّتكَ يَقعُدُونَ علىٰ الطَّريقِ فيَقطَعُونَه»، وتلا ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦].

---

(١) نيء: بكسر النون بوزن التين، ضد النضيج.

(٢) يدعون ـ بفتح الياء والدال ـ أي: يتركون.

ورأىٰ رجُــلاً يَســبَحُ في نَهْــرٍ مِــن دَمٍ يُلْقَــمُ[١] الحجارة، فقال: «**ما هذا يـا جبريـل؟**» قـال: «هـذا مَثَلُ آكِلِ الرِّبَا».

ثمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ رَجُلٍ قَد جَمَـعَ حُزْمَـةَ[٢] حَطَـبٍ لا يَسْتَطيعُ حَمْلَها وهو يَزِيُد عليها، فقال: «**ما هـذا يـا جبريل؟**» قال: «هذا الرجلُ من أُمَّتِـك تَكـونُ عنـده أَمَانَاتُ الناسِ لا يَقْدِر علىٰ أَدائِها، ويُرِيدُ أَنْ يَتَحَمَّلَ عَلَيها».

وأَتَــىٰ علــىٰ قَــومٍ تُقْــرَضُ أَلْسِــنَتُهم وشِــفَاهُهُم بِمَقَاريض[٣] من حديدٍ، كُلما قُرِضَـتْ عَـادَتْ كمـا كانتْ لا يَفْتُرُ عنهم، فقالَ: «**من هؤلاءِ يا جِبريـلُ؟**»

---

(١) يلقم: بالبناء للمفعول أي يرمىٰ بالحجارة في فيه فيلتقمها ويبتلعها.

(٢) حزمة: بكسر الحاء وسكون الزاي ويصح بضم الحاء.

(٣) مقاريض: جمع مقراض، وهو المقص المعروف.

قالَ: «هؤلاءِ خُطباءُ الفِتْنةِ، خُطَبَاءُ أمتِكَ، يَقُولُون ما لا يَفعَلُونَ».

وَمَرَّ بِقَومٍ لهم أَظْفَارٌ مِن نُحَاسٍ يَخْمُشُون[١] بها وُجُوهَهم وصُدُورَهُم، فقال: «**من هؤلاء يا جبريل؟**» قال: «هؤلاء الذين يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهم»[٢].

وأتىٰ علىٰ جُحْرٍ[٣] صغير يَخْرُجُ منه ثَورٌ عَظِيمٌ، فجعلَ الثَّورُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ من حيثُ خَرَجَ فلا يَسْتَطِيعُ، فقال: «**ما هذا يا جبريلُ؟**» قال: «هذا الرجلُ مِنْ أُمَّتِكَ يَتكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ العَظِيمَةِ ثم يَندَمُ

---

(١) يخمشون: أي يخدشون ويجرحون.

(٢) أعراضهم: ـ جمع عرض بكسر العين ـ، وهو محل الذم والمدح من الإنسان.

(٣) علىٰ جحر: الجحر بضم الجيم وسكون الحاء: الثقب المستدير.

عَلَيهَا، فلا يستطيعُ أنْ يَرُدَّهَا».

(زاد الشامي)[١]: وَأَتَىٰ علىٰ وَاد فوَجدَ رِيحاً طيبةً باردةً كَرِيحِ المِسْكِ وسَمِعَ صَوْتاً، فقال: «يا جبريل ما هذا؟» قال: «هذا صوت الجنة تقول: يا ربِّ إِيْتِنِي بمَا وَعَدْتَني فقد كثُرَت غُرَفي وإِسْتَبرقِي وَحَرِيري وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِيِّي[٢] ولُؤلؤي وَمَرْجَاني وَفِضَّتي وَذَهَبِي، وَأَكْوَابي وصِحَافي وَأَبَارِيقِي، وَمَرَاكِبِي وَعَسَلِي، وَمَائِي، وَلَبَنِي، وَخَمري، قال: لكِ كل مسلمٍ ومسلمةٍ، ومؤمنٍ ومؤمنةٍ، ومَنْ آمن بي وبِرُسُلِي وعَمِلَ صالحاً ولم يُشْرِكْ بي، ولم يَتَّخِذْ من دوني أنداداً، وَمَنْ خَشِيَني فهو آمِنٌ، ومَنْ

---

(١) هو: الإمام محمد بن يوسف الشامي، صاحب كتاب «سبل الهدى والرشاد».

(٢) العبقري: هو الديباج، وفي القرآن ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ سورة الرحمن: ٧٦.

سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، ومَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ، ومَنْ تَوكَّلَ عليَّ كَفَيْتُهُ، إني أنا الله لا إله إلاَّ أنا، لا أُخْلِفُ الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيتُ».

وأتىٰ علىٰ وادٍ فَسَمِعَ صوتاً مُنكراً وَوَجد رِيحاً مُنْتِنَةً، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟**» قال: «هذا صَوْتُ جَهَنَّمَ، تقولُ: يا ربِّ ايْتِنِي بما وعَدْتَني فقد كَثُرَت سَلاسِلِي وَأَغْلالي وَسَعِيري، وحَميمِي وضَرِيعِي وغَسَّاقِي[1] وَعَذابي، وقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي فأتِنِي بمَا وَعَدْتَني.

فقال: لَكِ كلُّ مُشْرِكٍ ومُشْرِكَة، وكَافِرٍ وكافرةٍ، وخَبيثٍ وخبيثةٍ وكُلُّ جَبَّارٍ لا يُؤمِنُ بِيَوم الحِسَابِ،

---

(١) الضريع: نبت بالحجاز له شوك كبار، ويقال له: الشبرق. والغساق: ـ بالتخفيف والتشديد ـ: ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم.

قالت: قد رَضِيْت».

فَسَارَ حتّىٰ أتىٰ مَدِينَةَ بَيْتِ المَقْدِس، ودخل مِنْ بَابِها اليَماني، ثم نَزَلَ عن البُراقِ ورَبَطَهُ ببابِ المسجِد بالحَلْقَةِ التي كانت تَربُطُه بِهَا الأنبيَاء عليهم الصلاة والسلام.

وفي رواية: أنَّ جبريلَ أتىٰ الصَّخْرةَ فوَضعَ أُصْبُعَه فيها، فَخرَقَها، وشَدَّ بِهَا البُراقَ ودَخَلَ المَسجِدَ من بابٍ تَميل فيه الشَّمْسُ والقَمَرُ، ثم صلَّىٰ هو وجبريلُ، كلُّ واحدٍ ركعتين، فَلَمْ يلْبَثْ إلاّ يَسِيراً حتَّىٰ اجتمَعَ نَاسٌ كَثيرٌ، فعرف النَّبِيُّ النَّبِيِّينَ من بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ.

ثم أذَّنَ مُؤذِّنٌ، وأُقيمَتِ الصَّلاةُ، فَقَاموا صُفوفاً يَنتَظرونَ مَن يَؤمُّهُم، فأخذ جبريلُ بِيَدِهِ صلى الله

عليه وسلم فقدَّمهُ، فصلَّىٰ بِهِمْ ركعتين[١].

وعن كعب رضي الله عنه: فأذّن جبريلُ، ونزلت الملائكة من السماء[٢]، وَحَشَرَ الله له جَمِيعَ المرسلين والأنبياء، فَصَلَّىٰ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بالملائِكَةِ والمرسلين، فلمَّا انصَرَفَ قال جبريل: «يا محمد، أَتَدْرِي مَن صلَّىٰ خَلْفكَ؟» قال: «لا»، قال: «كُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَه الله تعالىٰ».

---

(١) أي: قبل عروجه علىٰ المعتمد الراجح. قال نجم الدين الغيطي: تظافرت الروايات أنه صلى الله عليه وسلم صَلّىٰ بالأنبياء في بيت المقدس قبل عروجه، وهو أحد احتمالين للقاضي عياض. وقال الحافظ ابن حجر: إنه الأظهر، والاحتمال الثاني: أنه صَلّىٰ بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً، وصححه الحافظ ابن كثير، وقال بعضهم: وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صَلّىٰ بهم مرتين، فإنَّ بعض الأحاديث ذكر فيها الصلاة بهم بعد المعراج.

(٢) التصويب من نسخة أخرىٰ صحيحة، وفي المطبوعة: فأذن جبريل الملائكة، وهو غلط.

(زاد الشامي): وفي حديث أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه عند الحاكِمِ وصحَّحَه، والبَيْهقـي: فلَقِـيَ أرواحَ الأنبياءِ عليهم السلام، فأثَنوا علىٰ ربِّهِمْ.

فقـال إبـراهيمُ عليـه السـلام: الحمـدُ لله الـذي اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، وأعطانِي مُلْكاً عظيماً، وجعلني أُمَّةً قانتاً، يُؤْتَمُّ بي، وأنْقَذَنِي من النّـار، وجعلـها عَلَـيَّ بَرْداً وسَلاماً.

ثمَّ إنَّ موسىٰ عليه السلام أثْنىٰ علـىٰ رَبِّـه تبـارك وتعالىٰ، فقـال: الحمـد لله الـذي كلَّمَـني تَكْلِيمـاً، وجعل هَلاكَ فِرعَون ونجاةَ بَنِي إسرائيلَ علىٰ يدي، وجعل مِن أُمَّتي قوْماً يهدونَ بالحقِّ وبه يَعْدِلون.

ثم إنَّ داود عليه السلام أثنىٰ علـىٰ ربِّـه، فقـال: الحمد لله الـذي جعـلَ لي مُلكـاً عظيمـاً، وعَلَّمَـني الزَّبورَ، وألانَ ليَ الحَديدَ وسخَّر لِيَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ والطير، وأَعْطَانِي الحِكْمَةَ وفصْلَ الخِطابِ.

ثمَّ إنَّ سليمان عليه السلام أَثْنَىٰ علىٰ رَبِّه، فقال: الحمد لله الّذي سخَّر لِيَ الرياحَ وسَخَّرَ لي الشياطينَ والإِنْسَ يعملون لي مَا شِئْتُ من مَحَارِيبَ[١] وتَمَاثِيلَ[٢] وجِفَانٍ[٣] كالجَوَابِي[٤] وقُدور راسيات[٥]، وَعَلَّمَني مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وآتاني مِن كُلِّ شَيء فَضْلاً، وسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ والإِنْسِ وَالجِنِّ وَالطَّيْرَ، وفَضَّلَني عَلَىٰ كثيرٍ مِن عِبَادِه المؤمنين، وآتاني مُلْكاً عَظيماً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ

---

(١) محاريب: جمع محراب وهو كل موضع مرتفع، وقيل للذي يصلى فيه محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم.

(٢) تماثيل: جمع تمثال وهو كل ما صور علىٰ مثل صورة الحيوان أو غير حيوان، ولم تكن محرمة في زمنه.

(٣) جفان: جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة، وقد كانوا يضعون له القصاع كحياض الإبل يجتمع علىٰ الواحدة ألف رجل.

(٤) الجوابي: جمع جابية وهي الحوض.

(٥) راسيات: ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها.

مِن بَعْدِي، وجَعَل مُلْكِي مُلْكاً طَيِّباً لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ وَلا عِقَابٌ.

ثُمَّ إنَّ عِيسَىٰ ابنَ مَريمَ عَلَيه السَّلام أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّه تَبَارَك وتَعَالىٰ، فقالَ: الحمدُ لله الّذي جَعَلَني كَلمَتَهُ، وَجَعَلَ مَثَلِي مَثَل آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراب، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فيَكُون، وعَلَّمَني الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ، وجَعَلَني أُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، وَأُحْيِي المَوْتَىٰ بِإذْنِ الله، ورَفَعَني وَطَهَّرَني وَأَعَاذَني وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجيم، فَلَمْ يَكُنْ للشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيل. (انتهت زيادة الشامي).

فَقال النبي صلى الله عليه وسلم: كُلُّكُم أَثْنَىٰ عَلَىٰ ربِّه، وَأَنَا مُثْنٍ عَلَىٰ رَبِّي، ثُمَّ شَرَعَ يَقُولُ:

الحمدُ لله الَّذي أَرسَلَني رَحْمةً للعَالَمين، وكَافَّةً للنَّاسِ بَشِيراً ونَذيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ القُرآن فِيه تبْيانٌ لِكُلِّ شيءٍ، وجَعَلَ أُمَّتي خَيْرَ أُمَّة أُخرِجَتْ للنَّاس، وجَعَلَ أُمَّتي وَسَطاً، وَجَعَلَ أُمَّتي هُمُ الأَوَّلون

والآخِرُونَ، وشَرَحَ لي صَدْري وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَعَ لي ذِكْرِي، وجَعَلَني فَاتِحاً خَاتِماً».

فَقَالَ إبراهيمُ عليهِ السَّلام: بِهَذا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ(١).

(زاد الشامي): ثُمَّ تَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إلىٰ إبْرَاهِيم عليه السَّلام، فقال: لا عِلْمَ لي بِهَا، فَردُّوا أَمْرَهُم إلىٰ مُوسَىٰ عَلَيه السَّلام، فقال: لا علمَ لي بها، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إلىٰ عيسىٰ عَلَيه السَّلام، فَقَالَ: أمَّا وَجْبَتُهَا(٢) فَلا يَعْلَمُها إلاّ الله، وَفيمَا عَهِدَ إليَّ رَبِّي أَنَّ الدَّجَّال خَارِجٌ وَمَعِي قَضِيْبَان(٣)، فإذَا رَآني ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاص، فَيُهْلِكُهُ اللهُ تعالىٰ

---

(١) الخطاب هنا موجه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٢) أي: وقوعها.

(٣) قضيبان: القضيب الغصن، واللطيف من السيوف، والجمع قُضْبانٌ وقِضبان.

إذَا رآني، حَتَّىٰ أَنَّ الحَجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إنَّ تَحْتِي كَافِراً فَتَعَالَ فاقتُلْهُ، فَيهلكهُمُ اللهُ تَعَالىٰ، ثمَّ يَرجِعُ النَّاسُ إلىٰ بِلادِهِم وأَوْطَانِهِم، فعنْدَ ذلك يخْرُجُ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ، وَهُم منْ كُلِّ حَدَب يَنسلُون(١)، فيَطَأُونَ بِلادَهم لا يَأْتُونَ علىٰ شَيءٍ إلاَّ أهلكوه، ولا يَمُرُّونَ علىٰ مَاء إلاَّ شَرِبُوهُ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ النَّاس يَشْكُونَهُم إليَّ، فَادْعُو الله تَعَالىٰ عَلَيهِم فَيُهْلِكُهُمْ ويُميتهُم حتَّىٰ تَجْوَىٰ الأرضُ(٢) مِنْ رِيحِهِم، فَيُنزِلُ الله المَطَرَ فَيَجْرُفُ أَجْسَادَهُم حتَّىٰ يقذِفَهُم في البحر.

فَفيمَا عَهِدَ إليَّ ربي أَنَّ ذَلكَ إذَا كَانَ كذَلكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ كالحامِلِ المُتِمِّ(٣) لا يَدْرِي أهلُهَا مَتىٰ

---

(١) من كل حدب ينسلون: من كل شرف يقبلون.

(٢) تجوىٰ الأرض: تتغير وتنتن.

(٣) الحامل المتم: إذا تمت أيام حملها.

تَفْجَؤُهُم[١] بِوِلادَتِهَا لَيْلاً أو نَهَاراً (انتهت زيادة الشامي).

وَأَخَذَ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم مِنَ العَطَشِ[٢] أشد ما أَخَذَهُ، فجَاءه جبريلُ عليه السَّلام بإِنَاء منْ خَمْرٍ وإِنَاءٍ منْ لَبَنٍ فاختَارَ اللَّبَن، فقال له جبريلُ: اِختَرْتَ الفِطْرَةَ[٣].

* * * * *

(١) أي: تأتيهم علىٰ غفلة.

(٢) أخذ النبي: أي أصابه من العطش.

(٣) الفطرة: ـ بكسر الفاء ـ المراد بها الإسلام.

بَعضُ الحِكَمِ والفَوائد

وهذه الصور التي اطلع عليها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء ذلك السُّرىٰ، هي مشاهد من عالم الأسرار لأنواع شتَّىٰ من الحِكَم والحقائق التي ينتهي إليها بما يجري في عالم الظاهر من شئون العباد، وكان يسأل جبريل عن مغازيها، فيكشف له سِرّهَا، وهي تدل علىٰ حِكَمٍ عَظيمةٍ وفوائد جليلة.

المَصدرُ الحقيقي للأخلاق:

ومن أهمها: الإشارة إلىٰ أنَّ المصدر الحقيقي للأخلاق هو الدِّين وليس الضمير المجرد، وبهذا يظهر خطأ بعض الناس في العصر الحديث،

إذ يجعل أساس الأخلاق الأصلي هو الضمير، وهو خطأ كبير، فالضمير المجرد لا يصلح ولا يصح أن يكون أساساً للأخلاق، لأنَّ الضمير يمكن أن يُربَّىٰ ويُكَوّن، وتربيته وتكوينه هما شكله ونزعته واتجاهه الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط.

نعم، الضمير الذي صنعه الدِّين وتَربّىٰ في جوٍّ الإسلام وتهذَّب بالشريعة والعقيدة هو مَصدرٌ كَبيرٌ للأخلاق، فرجع الأمر إلىٰ الدين والعقيدة، لأنَّ الضمير يُصنع كما تُصنع المزيفات، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ.

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلىٰ المصلحة العامة، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة، وكلٌّ من يَتحدّث باسم المصلحة العامة إنما يَتحدَّث باسم فكرته هو، منحرفةً كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة، والمصلحة العامة إذن

كأساس للأخلاق؛ إنما هي أساس غير مضمون.

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلىٰ المصلحة الشخصية، أو اللذَّة، أو إلىٰ المنفعة، وكل هذا وَاردُ الغرب الأوربي أو الغرب الأمريكي عندما انحرف هذا الغرب وألحد.

أما وَاردُ الإسلام الإلهي فإنَّ مقياس الأخلاق فيه إنما هو المبادئ الدينية، إنما هو آيات القرآن، وإنما هو الفضائل التي أوحاها الله سبحانه وتعالىٰ، هذه الفضائل التي حددها القرآن في أسلوب عربي مبين، وتحدّثَ عنها نَبأُ الإسراء والمعراج في صور حقيقية دالة هادفة مؤثرة، وبَيّنتها السُّنّة النبوية الشريفة، وركّزهَا القرآن والسُّنّة علىٰ أسس من الإيمان قوية ثابتة، إنها في رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مُؤَسّسةٍ علىٰ الإيمان بالله ورسوله.

* * * * *

اِبتداءُ المَشاهدِ السَّماوِية

العُروج :

ثم أُتي بالمعراجِ، وهو السُّلم الرباني الذي كان عليه العُرُوج، لأنَّ العروج لم يكن علىٰ البراق وإنما كان علىٰ هذا المعراج، وفي بعض الروايات أنه استمر علىٰ البراق حتىٰ عُرِجَ به إلىٰ السماء، لكن المشهور الصحيح أنه رَقِي في المعراج.

قال: فعُرِجَ بنا إلىٰ السماء الدنيا، فاستفتح جبريل بابَ السماء، قيل: مَنْ هذا؟ قال: «جبريل»، قيل: ومَنْ معك؟ قال: «محمد»، قيل: وَقَدْ أُرسل إليه؟ ـ وفي رواية: بُعِثَ إليه ـ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حيّاه الله مِن أخٍ ومِن خليفةٍ، فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ ونِعْمَ المجيءُ جاء، فَفُتِحَ لهما،

فلمّا خَلَصَا فإذا فيها آدم عليه السلامُ وهو أبو الْبَشَر كهيئتِه يومَ خلقَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ صورتِهِ، تُعْرَض عليه أَرواحُ الأنبياءِ وذُرِّيَّتِهِ المؤمنين، فيقول: رُوحٌ طيبةٌ ونَفْسٌ طيبةٌ اجعلوها في عِلِّيِّين(١)، ثم تُعْرَض عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِهِ الكفار، فيقول: رُوحٌ خبيثةٌ ونَفْسٌ خبيثةٌ، اجعلوها في سِجِّين(٢)، ورأىٰ عن يمينِه أَسْوِدَةً(٣) وباباً يخرُجُ منه ريحٌ طيبةٌ، وعن شماله أَسْوِدَةً وباباً يخرُجُ منه ريحٌ خَبِيثةٌ مُنْتنةٌ، فإذا نظر قِبَلَ يمينِه ضحِك واستبشر، وإذا نظر قِبَلَ شِمالِهِ حزِن وبكىٰ، فسلَّم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فردّ عليه السلام، ثم قال: مرحباً بالابنِ الصالحِ

---

(١) عليين: اسم لأعلىٰ مكان في الجنة، أو لنفس الجنة وهو الأنسب هنا.

(٢) سجين: اسم لأسفل جهنم، أو لمكان فيها وهو الأنسب.

(٣) أسودة: المراد بها الأرواح.

والنبيِّ الصالحِ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من هذا يا جبريل؟» قال: «هذا أبوك آدم، وهذه الأسودة نَسَمُ بَنِيهِ، فأهلُ اليمينِ منهم أهلُ الجنة، وأهلُ الشِّمالِ منهم أهلُ النار، فإذا نظر قِبَلَ يمينِهِ ضحِك واستبشر، وإذا نظر قِبَلَ شمالِهِ بكىٰ وحزِن، وهذا البابُ الذي عن يمينه بابُ الجنة، إذا نظر مَن يدخلُهُ مِن ذريتِهِ ضحِك واستبشر، والبابُ الذي عن شمالِهِ بابُ جهنم، إذا نظر مَن يدخلُهُ مِن ذريتِهِ بكىٰ وحَزِن».

(زاد الشامي) ثم مضىٰ صلى الله عليه وسلم هُنَيْهةً[1] فإذا هو بأَخْوِنَةٍ[2] عليها لحمٌ مُشَرَّحٌ[3] ليس يقربُهُ أحدٌ، وإذا بأَخْوِنَةٍ عليها لحمٌ قد أَرْوَحَ وأَنْتَنَ،

---

(١) أي: قليلاً.

(٢) جمع خوان، وهو الذي يؤكل عليه.

(٣) أي مقطع.

عنده ناسٌ يأكلون منه.

فقال: «**يا جبريل، من هؤلاء؟**».

قال: «هؤلاءِ من أُمَّتِكَ يتركُون الحلالَ ويأتُون الحرام».

وفي لفظٍ: وإذا هو بأقوامٍ علىٰ مائدةٍ عليها لحمٌ مَشْويٌّ كأحْسَنِ ما رُئيَ من اللّحْمِ، وإذا حوْلَهُ جِيَفٌ، فجعلوا يُقْبِلون علىٰ الجِيَف يأكلون منها ويَدَعون اللَّحْم.

فقال: «**مَنْ هؤلاء، يا جبريلُ؟**».

قال: «هؤلاء الزُّنَاةُ، يُحِلُّون ما حرَّم الله عليهم، ويتْرُكُون ما أحلَّ الله لهم».

ثم مضىٰ هُنَيْهةً؛ فإذا هُو بأقْوَامٍ بطونُهم أمْثَالُ البُيُوت فيها الحَيَّاتُ تُرَىٰ منْ خارج بُطُونِهِم، كُلَّما نَهَضَ أحدُهم خَرَّ فيقولُ: اللهمَّ لا تُقِمِ السَّاعةَ،

وهــم علــىٰ ســابِلَةِ آلِ فِرْعَــوْنَ، فتجــيءُ السَّــابِلَةُ[١] فَتَطَؤُهم، فسمعهم يَضِجُّون[٢] إلىٰ الله تعالىٰ.

فقال: «يا جبريلُ مَنْ هؤلاءِ؟».

قال: «هؤلاء مِنْ أُمَّتك الَّـذين يـأكلون الرِّبـا، لا يقُومُون إلاّ كما يقـومُ الّـذي يَتَخَبَّطُـه الشَّـيْطانُ مِـنَ المَسِّ[٣]».

ثم مضَىٰ هُنَيْهـةً، فـإذا هُـوَ بـأقْوَامٍ مَشَـافِرُهُـم[٤] كمَشَافِرِ الإِبِل، فتُفْتَحُ أفْواهُهُم ويُلْقَمون حجراً.

وفي روايــة: يُجْعَــلُ في أفــواهِهِم صــخرٌ مِــنْ جهَنَّم، ثمّ يخرجُ مِن أسـافلِهِم، فسـمعهُم يَضِـجُّون

---

(١) أي أبناء السبيل المختلفون.

(٢) يصيحون من الفزع.

(٣) المس: الجنون، أي يُبْعَثون كالمجنون من تَسَلُّط الشَّيْطانِ عليهم.

(٤) المشافر: جمع مشفر، وهو للبعير كالشفة للإنسان.

إلىٰ الله تعالىٰ.

فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟».

قال: «هؤلاء الّذين يَأكُلُون أمْوَالَ اليَتَامىٰ ظُلْماً، إنَّمَا يأكلون في بُطُونِهِم ناراً وسَيَصْلَوْن سَعيراً».

ثم مضَىٰ هُنَيْهةً، فإذا هُوَ بِنسَاءِ مُعَلَّقات بثُديِّهِنَّ[(١)] ونِسَاءٍ مُنَكَّسَاتٍ بأرجُلِهِنَّ، فسمعهنَّ يَضْجِجْنَ إلىٰ الله تعالىٰ.

فقال: «من هؤلاء يا جبريل؟».

قال: «هؤلاء اللاّتي يَزْنينَ ويقْتُلْنَ أولادَهُنّ».

ثم مضَىٰ هُنَيْهةً، فإذا هُو بأقْوَامٍ يُقْطَعُ مِن جُنُوبِهِمُ اللّحْمُ فيُلْقَمُونَ، فيُقالُ لأحَدِهِمْ: كُلْ كما كُنْتَ تأكُل لَحْمَ أخِيكَ.

فقال: «مَنْ هؤلاءِ يا جبريل؟».

---

(١) بضم الثاء وكسر الدال، جمع ثَدْيٍ.

قال: «هؤلاءِ الهَمّازُون[١] من أمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ[٢]»

(انتهت زيادة الشامي).

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ الثانيةِ فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: «جبريلُ»، قيل: ومَنْ معك؟ قال: «محمد»، قيل: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نَعَم»، قيل: مَرْحَباً به وأهلاً، حَيّاهُ الله مِنْ أخٍ ومِنْ خليفة، فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِّحَ لهما، فلمّا خَلَصَا فإذا هو بِابْنَي الْخَالَةِ[٣] عيسىٰ ابنِ مريمَ ويحيىٰ بن زكريا، شبيهٌ أحدُهما بصاحبِه بثيابِهِما وشَعْرِهِما، ومعهما نفرٌ مِن قومِهِما، وإذا عيسىٰ عليه السلام جَعْدٌ[٤] مربوعٌ يَميل إلىٰ الحُمْرَةِ

---

(١) المُغْتابون.

(٢) العَيَّابون.

(٣) لأن أم يحيىٰ أخت مريم، وكانت تحت زكريا عليهم الصلاة والسلام.

(٤) المراد: جعد البدن، أي: ليس بالطويل بل متوسط.

والبيـاضِ، سَـبِطُ الـرأسِ[١] كأنمـا خـرج مـن ديماسٍ[٢]، شبَّهه بعروةَ بنِ مسـعود الثقفـي، فسلّم عليهما النبي ﷺ فردّا عليه السلام، ثم قالا: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ودَعَوَا له بخير.

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ الثالثـةِ فاستفتح جبريـلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: «جبريل»، قيـل: ومَـن معـك؟ قال: «محمد»، قيل: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حَيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خليفةٍ، فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ ونِعْمَ المجيء جاء، ففُتِحَ لهما، فلمّا خَلَصَا، إذا هـو بيوسـف عليـه السـلام ومعه نفرٌ مِن قومِهِ، فسلَّم عليه فـردَّ عليـه السـلام، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ودعـا له بخيرٍ، وإذا هو قـد أُعْطِـيَ شَـطْرَ الْحُسْنِ، وفي

---

(١) أي شعره مسترسل.

(٢) أي: حَمّام.

رواية: أَحْسَنُ ما خلق الله، قد فَضَلَ الناسَ بالحُسْنِ كالقمرِ ليلةَ البدرِ علىٰ سائرِ الكواكب، قال: «مَن **هذا يا جبريل**»؟ قال: «أخوك يوسف».

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ الرابعةِ فاستفتح جبريلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: «جبريل»، قيل: ومَن معك؟ قال: «محمد»، قيل: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حَيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خليفةٍ، فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِحَ لهما، فلمّا خَلَصَا، إذا هو بإدريسَ عليه السلام قد رفعه اللهُ مكاناً عَلِيّاً، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ثم دعا له بخير.

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ الخامسةِ فاستفتح جبريلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: «جبريل»، قيل: ومَن معك؟ قال: «محمد»، قيل: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حَيّاهُ الله مِن أخٍ ومِن خليفةٍ،

فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِحَ لهما، فلمّا خَلَصَا، فإذا هو بهارونَ عليه السلام، ونصفُ لحيتِهِ بيضاءُ ونصفُها سوداءُ تكاد تضرب إلىٰ سرَّتِهِ مِن طُولِها، وحولَهُ قومٌ مِن بني إسرائيلَ وهو يقُصّ عليهم، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ثم دعا له بِخير، فقال: «مَنْ هذا يا جبريل؟» قال: «هذا الرجلُ الْمُحَبَّبُ في قومِهِ هارونُ بْنُ عمرانَ عليه السلام».

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ السادسةِ فاستفتح جبريل، قيل: مَنْ هذا؟ قال: «جبريل»، قيل: ومَنْ معك؟ قال: «محمد»، قيل: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حَيّاهُ الله مِن أخٍ ومِن خليفةٍ، فنعْمَ الأخُ، ونِعْمَ الخليفةُ، ونِعْمَ المجيء جاء، ففُتِحَ لهما، فجعل يمرّ بالنبيِّ والنبيِّينَ معهُم

الـرَّهْطُ[١] والـنبيِّ والنبـيِّين معهُـمُ القـومُ، والـنبيِّ والنبيِّين ليس معهم أحدٌ.

ثم مرّ بسوادٍ عظيمٍ[٢] سَـدَّ الأُفُـقَ، فقـال: «مَـنْ هذا الجَمْعُ؟» قيـل: «موسـىٰ وقومُـهُ، ولكـنِ ارْفَـعْ رأسَك»، فإذا هو بسوادٍ عظيمٍ قد سَدَّ الأُفُقَ مـن ذا الجانبِ ومن ذا الجانبِ، فقيل له: «هـؤلاء أُمَّتُـكَ، وسِـوَىٰ هـؤلاءِ سـبعون ألفـاً يـدخلون الجنـةَ بغـيرِ حساب»، فلمّا خلَصَا فإذا هو بموسـىٰ بـن عمـران عليه السلام، رجـلٌ آدمُ طُـوالٌ[٣] كأنّـه مِـن رجـال شَنُوءَةَ[٤]، كثيرُ الشعرِ لو كـان عليـه قميصـان لنَفَـذَ

---

(١) الرهط: أصله ما دون العشرة.

(٢) سواد عظيم: أي جماعة عظيمة.

(٣) آدم طوال: أديم اللون: أي بياضه يميل إلىٰ الحمرة، وطوال: بضم الطاء، أي طويل.

(٤) رجال شنوءة: قبيلة من اليمن شأنهم الطُّول والأُدْمة.

شَعرُهُ دونهما، فسلَّم عليه النبي ﷺ فردَّ عليه السلام، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ثم دعا له بخير، وقال: يزعمُ الناسُ أني أكرم بني آدم علىٰ الله مِنْ هذا، بل هو أكرمُ علىٰ اللهِ مِنِّي، فلمّا جاوزه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكىٰ، فقيل له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أبكِي لأنَّ غلاماً بُعِثَ مِنْ بعدي يدخل الجنةَ مِنْ أُمّتِهِ أكْثَرُ ممن يدخل الجنةَ مِن أمّتي، يزعم بنو إسرائيل أني أكرمُ بني آدم علىٰ الله، وهذا رجلٌ مِن بني آدم خَلَفَني في دنيا وأنا في أُخرىٰ، فلو أنه في نفسِهِ لم أُبالِ، ولكنْ معه أمّتُهُ.

ثم عَرَجَا إلىٰ السماءِ السابعةِ فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: «جبريل»، قيل: ومَنْ معك؟ قال: «محمد»، قيل: أوَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: «نعم»، قيل: مرحباً به وأهلاً، حَيّاهُ الله مِن أخٍ ومِنْ خليفةٍ، فنِعْمَ الأخُ، ونِعْمَ الخليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، ففتِحَ لهما، فلمّا خَلَصَا فإذا النبي ﷺ بإبراهيم

الخليل عليه السلام جالسٌ عند باب الجنّة علىٰ كرسيٍّ مِنْ ذهبٍ، مُسندٌ ظَهْرَهُ إلىٰ البيتِ المعمورِ معه نفرٌ مِنْ قومِهِ، فسلَّم عليه النبيُّ ﷺ فردَّ عليه السلام، وقال: مرحباً بالابنِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، ثم قال: مُرْ أُمّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِراسِ الجنةِ(١)، فإنّ تُرْبَتَهَا طيبةٌ، وأرضَهَا واسعةٌ، فقال: «وما غِراسُ الجنةِ؟» قال: «لا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيم»، وفي روايةٍ: أَقْرِئْ أُمّتَكَ منِّي السلامَ وأخْبِرْهُمْ أنّ الجنةَ طيِّبةُ التُّرْبةِ عذبةُ الماءِ وأنّ غِراسَهَا: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاّ اللهُ، واللهُ أكبر.

وعندَهُ قومٌ جلوسٌ بيضُ الْوُجوهِ أمثالِ الْقَرَاطِيسِ(٢)، وقومٌ في أَلْوَانِهِمْ شيءٌ فقام هؤلاء

(١) الغراس: بالكسر، ما يغرس من الشجر ونحوه.

(٢) القراطيس: جمع قرطاس، أي: في البريق واللمعان والبياض.

الذين في أَلوانِهِمْ شيءٌ فدخلوا نَهْراً فاغتَسَلُوا فيه فخرجوا وقد خَلَصَ⁽¹⁾ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شيءٌ، ثم دخلوا نهراً فاغتَسَلوا فيه فخرجوا وقد خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شيءٌ، ثم دخلوا نهراً ثالثاً فاغتَسَلوا فيه وقد خلصَتْ أَلوانُهُمْ، فصارَتْ مثل أَلوانِ أصحابِهِمْ، فجاءوا فجلسوا إلىٰ أصحابِهِمْ، فقال: «**يا جبريلُ مَنْ هؤلاءِ البيضُ الوجوهِ، ومَنْ هؤلاءِ الذين في أَلوانِهِمْ شيءٌ، وما هذه الأنهارُ التي دخلوها فاغتَسَلُوا فيها؟**».

فقال: «أمّا هؤلاء البيضُ الوجوهِ، فقومٌ لم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلْمٍ⁽²⁾، وأمّا هؤلاءِ الذين في ألوانِهِمْ شيءٌ، فقومٌ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخَرَ سَيِّئاً، فتابُوا فتابَ اللهُ عليهِمْ، وأمّا هذه الأنهار:

---

(١) خلص: صفا.

(٢) بظلم: أي بمعاصٍ.

فأوّلُهَا رحمةُ اللهِ، والثاني نعمةُ اللهِ، والثالثُ سقاهم رَبُّهُمْ شراباً طهوراً»، وقيل: هذا مكانُكَ ومكانُ أُمّتك، وإذا هو بأُمّته شَطْرَيْنِ[1]، شَطْرٌ عليهِمْ ثيابٌ كأنَّهَا الْقَرَاطِيسُ، وشَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثيابٌ رُمْدٌ[2]، فدخل البيتَ المعمورَ، ودخل معه الذين عليهِمُ الثّيابُ البيضُ، وحُجِبَ الآخرون الذين عليهِمُ الثّيابُ الرُّمْدُ، وهُمْ علىٰ خير، فَصلّىٰ ومَنْ معه مِنَ المؤمنين في البيتِ المعمورِ[3] وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ لا يعودون إليه إلىٰ يومِ القيامة، وأنه بحِذَاءِ الكعبةِ، لو خَرَّ منه حَجَرٌ لخَرَّ عليها، آخِرُ ما عليهِم[4].

---

(١) شطرين: نصفين.

(٢) ثياب رمدٌ: أي غُبْرٌ فيها كُدْرَةٌ كلون الرماد.

(٣) المعمور: أي بذكر الله وكثرة الملائكة، وأكثر الروايات أنه في السماء السابعة.

(٤) خبر لمبتدأ محذوف، أي هذا آخر ما عليهم، أي: أن

=

(زاد الشامي): وفي حديثٍ عِنْدَ الطبراني بسَنَدٍ صحيحٍ: «مررتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي علىٰ الملإ الأعلىٰ فإذا جبريلُ كالحِلْسِ البالي مِنْ خشيةِ اللهِ، وفي روايةٍ عند البزار: كأنه حِلْسٌ لاطِئٌ»[1].

* * * * *

دخولهم البيت المعمور وعدم عودهم له بعد خروجهم منه آخر ما عليهم بالنسبة للبيت.

(١) الحلس البالي: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، ومنه الحديث (كن حلساً من أحلاس بيتك) أي ملازماً له في الفتنة، ولاطئ: أي لازق بالأرض.

إلىٰ سِدْرةِ المنتهىٰ:

ثُمّ رُفِعَ إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ(١) وإليها ينتهي

(١) إلىٰ سدرة المنتهىٰ: قال الدردير: هذا هو المعراج الثامن، والمراد إلىٰ أعلاها بالمرقاة الثامنة حتىٰ بلغ أعالي غصونها في الفلك الثامن المسمىٰ بالكرسي الذي هو من لؤلؤة بيضاء، كذا في القليوبي، وهذا ظاهر القصة، لكن ينافيه قوله الآتي (ثم أخذ علىٰ الكوثر) لأنَّ الكوثر كبقية الأنهار في أصلها لا في أعلاها. ثم قال بعد ذلك: (ثم رفع إلىٰ سدرة المنتهىٰ) فيقتضي أنَّ الرفع إليها تعدد، ولا شك في إشكاله لمن تأمل، ثم رأيت في قصة الأجهوري هنا: (ثم أتىٰ سدرة المنتهىٰ وإليها ينتهي..إلخ) وهو الصواب إذْ لم يعبر بالرفع فهي ظاهرة في أنه أتىٰ إليها ورأىٰ في أصلها الأنهار الآتي بيانها وسار صوب الكوثر، ثم قال: (ثم رُفع إلىٰ سدرة المنتهىٰ... إلخ) وحينئذ فقوله الآتي: (ثم رُفع... إلخ) إشارة إلىٰ المعراج الثامن، وأما ما هنا فهو بيان لكونه أتىٰ عليها في أصلها، وسدرة المنتهىٰ في السماء السابعة، وفي رواية أنها في السماء السادسة، وجمع بينهما بأنَّ أصلها في السادسة وأغصانها وفرعها في السابعة.

ما يَعْرُجُ مِنَ الأرضِ فَيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يَهْبِطُ مِنْ فوق فيُقبَضُ منها وإذا هي شجرةٌ[(١)] يخرج مِنْ أصلِها أنهارٌ مِنْ ماءٍ غير آسِنٍ[(٢)] وأنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لم يتغيَّرْ طَعْمُهُ، وأنهارٌ مِنْ خمرٍ لَذّةٍ للشاربين، وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً، يسير الراكبُ في ظِلِّها سبعين عاماً لا يقطعها، وإذا نَبِقُها[(٣)] مِثْلُ قِلالِ[(٤)] هَجَرَ[(٥)]، وإذا وَرَقُها كآذانِ

(١) شجرة: لها ساق أي هو أصلها الآتي ولها فروع فوق السماء السابعة في جوف السماء الثامنة وهو المسمىٰ بالكرسي، قاله القليوبي.

(٢) غير آسنٍ: بالمد علىٰ وزن ضارب، أي غير متغير طعماً أو لوناً أو ريحاً، وإذا شرب منه أهله خرج علىٰ أجسادهم عرقاً كالمسك ما دام في الجنة.

(٣) النبق: بسكون الباء وكسرها، هو حمل السدر، الواحدة نبقة.

(٤) قلال: جمع قلة، وهو إناء للعرب كالجرة الكبيرة.

(٥) هجر: قرية بقرب المدينة، وهي التي تُنسب إليها القلال الهجرية، وهي غير البلد الذي في جهة البحرين.

الْفِيَلَةِ[١] تكادُ الورقةُ تُغَطِّي هذه الأمة.

وفي رواية: الورقةُ منها تُظِلُّ الخلائقَ، علىٰ كلِّ ورقةٍ فيها مَلَكٌ، فغَشِيَهَا[٢] ألوانٌ لا يُدْرَىٰ ما هـي، فلمّا غَشِيَها مِنْ أمرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغَيَّرَتْ.

وفي روايـة: تَحَوّلَـتْ ياقوتـاً وزَبَرْجَـداً، فمـا يستطيعُ أحدٌ أن يَنْعَتَها مِنْ حُسْنِها، فيها فَراشٌ[٣] مِنْ ذهبٍ، وإذا في أصلِها أربعةُ أنهـارٍ، نهـرانِ باطنـان ونهرانِ ظاهِرانِ، فقال: «**ما هذه الأنهارُ يا جبريلُ؟**» قـال: «أمّـا الباطنـانِ فنـهرانِ في الجنـةِ[٤]، وأمّـا

---

(١) كآذان الفيلة: أي في الشكل، وأما في القدر فأشار إليه بقوله: (تكاد الورقة تغطي هذه الأمة) أي أمة الدعوة فهو بمعنىٰ الرواية التي بعدها فالمراد بالخلق الناس.

(٢) فغشيها: أي أصابها.

(٣) فراش: بفتح الفاء أي جراد، وأصل الفراش هو ما يلقي نفسه في السراج من الطير وهو أكبر من الذباب.

(٤) وهما الكوثر والسلسبيل أو الزنجبيل.

الظاهرانِ فالنِّيلُ والفُراتُ»[١].

(زاد الشـامي): وفي روايـةٍ: وإذا في أصـلها عَـيْنٌ تجري يُقال لها: السَّلْسَبِيلُ، يَنْشَقّ منها نهران أحـدُهُمَا الكوثرُ، يطَّرِدُ عَجّاجاً[٢] مِثْلَ السهمِ عليه خيـامُ اللؤلـؤِ والياقوتِ والزَّبَرْجَدِ، وعليهِ طيـورٌ خُضْـرٌ أَنْعَـمُ طـيرٍ، رأى فيه آنيةَ الذهبِ والفضةِ، تجري علىٰ رَضْـرَاضٍ[٣] مِنَ الياقوتِ والزُّمُـرُّدِ، مـاؤُهُ أشـدُّ بياضـاً مِـنَ اللـبنِ،

---

(١) قال ابن كثير: المراد ـ والله أعلم ـ أنَّ هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفائها وعذوبتها وجريانها من جنس تلك في هذه الصفات، كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العجوة من الجنة) أي تشبه ثمر الجنة لا أنها مُجتَناةٌ من الجنة، فإنَّ الحسّ يشهد بخلافه، فيتعين أن يكون المراد غيره، وكذلك أصل منابع هذه الأنهار مشاهدة من الأرض.

(٢) عجّاج: كثير الماء كأنه يعج من كثرته وصوت تدفقه.

(٣) الرضراض: الحصىٰ الصغار.

فأخذ مِنْ آنية فاغترف مِن ذلك الماءِ فشرِب، فإذا هـو أحلىٰ مِنَ العسلِ وأشدُّ ريحاً مِنَ المسكِ.

فقال له جبريل: «هذا هو النهر الـذي حبَـاك بـه ربُّكَ، والنهرُ الآخَرُ نهرُ الرحمة»، فاغتسلَ فيه فغُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبِهِ وما تأخَّر. (انتهت زيادة الشامي).

ورأىٰ سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم جبريلَ عند السِّدرة في صورةٍ أخرىٰ مُنَاسِبَةٍ لذلك المقـامِ، وهو له سِتُّ مِئَةِ جنـاحٍ، كـلُّ جنـاحٍ منـها قـد سَـدَّ الأُفُقَ، يتناثرُ مِنْ أجْنِحَتِهِ التَّهَاوِيلُ[1] الدُّرُّ واليـاقوتُ مما لا يعْلمُهُ إلاّ اللهُ تعالىٰ.

ثم أخذ علىٰ الكوثر حتىٰ دخلَ الجنةَ، فإذا فيها مـا لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمِعتْ، ولا خَطَرَ علـىٰ قلـبِ

---

(١) التهاويل: أي الأمور المهولة العظيمة. وقوله: (الدر..) إلخ بيان للتهاويل. وقوله: (مما لا يعلمه إلا الله)، بيان لمحذوف أي وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله.

بَشَرٍ، فرأىٰ علىٰ بابها مكتوباً: الصدقةُ بعَشْرِ أمثالِهـا، والقَرْضُ بثمانيةَ عَشَرَ، فقال: «**يا جبريلُ ما بالُ القَرْضِ أفضلَ مِنَ الصدقةِ؟**» قال: «لأنّ السائلَ يسألُ وعنده شيءٌ والمستقرِضُ لا يستقرِضُ إلاّ مِنْ حاجةٍ».

فسار فإذا هو بأنهارٍ مِنْ لبنٍ لم يتغيرْ طَعْمُهُ، وأنهارٍ مِنْ خمرٍ لذّةٍ للشاربينَ وأنهارٍ مِنْ عسلٍ مُصَفّىٰ، وإذا فيها قِبابُ اللؤلؤِ وإذا رُمَّانُها كالدِّلاء[1] وإذا بِطَيْرِها كالبَخاتي[2] فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، إنها لناعمةٌ، قال: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ منها**»، وإني لأرجو أن تأكلَ منها.

ثم عُرِضَتْ عليه النّارُ، فإذا فيها غضبُ اللهِ وزَجْرُهُ ونِقْمَتُه، ثم أُغْلِقَتِ النارُ دونَهُ.

* * * * *

---

(١) الدلاء: جمع دلو، والمراد الدلو الكبير.

(٢) البخاتي: جمع بختي، وهو البعير الخراساني ذو السنامين.

الرُّؤْيا والمُنَاجاةُ :

ثم عُرِجَ به صلى الله عليه وسلم لمستوىً سمِع فيه صَريفَ الأقلامِ في تصريفِ الأقدارِ، ورأىٰ رَجُلاً مُغَيَّباً في نُورِ العَرْشِ، فقال: «مَنْ هذا، أمَلَكٌ؟» قيل: لا، قال: «أَنَبِيٌّ؟» قيل: لا، قال: «مَنْ هو؟» قيل: هذا رجلٌ كان في الدنيا لسانُهُ رَطْبٌ بذِكْرِ الله تعالىٰ وقلبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ ولَمْ يَسْتَسِبَّ(١) لِوَالِدَيْهِ قَطُّ.

فرأىٰ ربَّهُ سبحانه وتعالىٰ، فخَرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ساجداً وكلَّمهُ ربُّهُ عند ذلك، فقال له: «يا محمدُ»، قال: «لبّيكَ يا ربّ»، قال: «سَلْ!»، فقال: «إنكَ اتَّخَذْتَ إبراهيم خليلاً، وأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً

---

(١) أي لم يفعل ما يقتضي سبَّهما.

عظيماً، وكلَّمْتَ موسىٰ تكليماً، وأَعْطَيْتَ داودَ مُلْكاً عظيماً، وأَلَنْتَ له الحديدَ، وسَخَّرْتَ لـه الجبـالَ، وأَعْطَيْتَ سليمانَ مُلْكاً عظيماً، وسَخَّرْتَ لـه الجـنَّ والإنسَ والشياطينَ، وسخَّرْتَ له الرِّيـاحَ، وأعطَيْتَهُ مُلْكاً لا ينبغـي لأحـدٍ مِـنْ بَعْـدِهِ، وعلَّمْـتَ عيسـىٰ التوراةَ والإنجيـلَ وجعلْتَـهُ يُبْـرِئُ الأكمـهَ والأبـرصَ ويُحْيِي المَوْتَىٰ بإذنِكَ، وأعَذْتَـهُ وأُمَّـهُ مِـنَ الشـيطانِ الرجيمِ، فلم يكن للشيطانِ عليهما سبيلٌ».

فقال الله سبحانه وتعالىٰ: «قَـدِ اتَّخَـذْتُكَ حبيبـاً» قال الراوي: «وهو مكتـوبٌ في التـوراةِ حبيـبُ الله» وأرسلتُكَ للناسِ كافَّةً بشيراً ونذيراً، وشـرحْتُ لـكَ صـدْرَكَ، ووَضـعْتُ عنـكَ وِزْرَكَ، ورَفعـتُ لـكَ ذِكْرَكَ، لا أُذْكَرُ إلا ذُكِـرْتَ معـي، وجَعلْـتُ أمّتَـكَ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنّـاسِ، وجَعلْـتُ أُمّتَـكَ أمـةً وسطاً، وجعلْتُ أمّتَكَ هُمُ الأوّلون وهُمُ الآخِرون، وجعلْتُ أمّتَكَ لا تجوز لهم خُطْبَةٌ حتىٰ يشهدوا أنك

عبدي ورسولي، وجَعلْتُ مِنْ أمّتكَ أقواماً قلوبُهُمْ أناجِيلُهُم[١]، وجعلتُكَ أوّلَ النبيين خَلْقاً وآخِرَهُمْ بعثاً وأوَّلَهُمْ يُقْضَىٰ له، وأَعْطَيْتُكَ سبعاً مِنَ المثاني لم أُعْطِها نبيّاً قَبْلَكَ، وأَعْطَيْتُكَ خواتمَ سورة البقرة مِنْ كَنْزٍ تحتَ العرشِ لم أُعْطِها نبيّاً قَبْلَكَ، وأَعْطَيْتُكَ الكوثرَ، وأَعْطَيْتُكَ ثمانيةَ أسْهُمٍ: الإسلامَ والهجرةَ والجهادَ والصدقةَ وصومَ رمضانَ والأمرَ بالمعروفِ والنهْيَ عنِ المنكرِ، وإني يومَ خلقتُ السمواتِ والأرضَ فَرَضْتُ عليك وعلىٰ أُمتِكَ خمسينَ صلاةً، فَقُمْ بها أنت وأُمَّتُكَ».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أي محلّ لحفظ القرآن.

بينَ نبيِّنا وبينَ موسىٰ عليهما الصلاة السلام

ثم رجع سيدُنا رسولُ اللهِ ﷺ فـأتىٰ علـىٰ إبـراهيم عليه السلام فلم يقل شيئاً، ثم أتىٰ علـىٰ موسـىٰ عليـه السلام ـ قال: ونِعْمَ الصاحبُ كـان لكـم ـ فقـال: مـا صَنَعْتَ يا محمدُ؟ ما فرض ربُّكَ عليكَ وعلىٰ أُمّتـكَ؟ قال: «فرض عليَّ وعلىٰ أمّتي خمسينَ صـلاةً كُـلَّ يـومٍ وليلةٍ»، قال: ارْجعْ إلىٰ ربِّـكَ فاسـأله التَّخْفيـفَ عنـكَ وعن أُمّتكَ فإنَّ أُمّتَكَ لا تطيق ذلك، فإنّي قـد خَبَـرْتُ الناسَ قَبْلَكَ، وبَلَـوْتُ بـني إسـرائيلَ وعـالَجْتُهُمْ أشـدَّ المُعَالَجَةِ علىٰ أدنىٰ مِـنْ هـذا فضَـعُفُوا عنـه وتركـوه، فأمّتُـكَ أضـعفُ أجسـاداً وأبـداناً وقلوبـاً وأبصـاراً وأسماعـاً، فالتفـتَ الـنبيُّ ﷺ إلىٰ جبريـلَ يستشـيره، فأشار إليه جبريلُ أنْ نَعَمْ إن شئتَ فارجعْ، فرجـع إلىٰ مقامِ المناجاةِ وخرَّ ساجداً، ثم قال: «ربِّ خفِّـفْ عـنْ أمّتِـي فإنّهـا أضـعفُ الأُمَـمِ»، قـال: وضَـعْتُ عنـهم

خَمْساً، ورجع إلىٰ موسىٰ فقال: «وَضَعَ عنِّي خَمْساً»، فقال: اِرْجعْ إلىٰ ربِّك فَاسْأَلْهُ التخفيفَ، فـإنَّ أمّتـكَ لا تطيق ذلك، فلم يَزَلْ يرجِـعُ بـينَ موسـىٰ وبـينَ رَبِّـه، يحُطُّ عنه خَمْساً خَمْساً حـتىٰ قـال اللهُ: «يـا محمـدُ»، قال: «لبيكَ وسعديكَ»، قـال: «هُـنَّ خمـسُ صـلوات كُلَّ يـومٍ وليلـة، كـلُّ صـلاةٍ بِعَشْـرٍ؛ فتلـك خمسـونَ صلاةً، لا يُبَدَّلُ القولُ لديَّ ولا يُنْسَخُ كتَابي، ومَنْ همَّ بحسنةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حسنةً، فـإنْ عملَهـا كُتِبَـتْ عشراً، ومَنْ همَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْهَا لم تُكْتَبْ عليه شيئاً، فإنْ عملَها كُتِبَتْ سيئةً واحدةً، فـنزل حـتىٰ انتـهىٰ إلىٰ موسىٰ فأَخبَرَهُ، فقال: اِرْجعْ إلىٰ رَبِّك فَاسْأَلْهُ التخفيـفَ فإنَّ أمّتَك لا تطيق ذلك، فقال: «قد راجَعْتُ ربِّي حتىٰ اسْتَحْيَيْتُ منه، ولكِنْ أَرْضَـىٰ وأُسَـلِّمُ»، فنـادَىٰ منـادٍ: «أنْ قدْ أمضَيْتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عِبـادي»، فقـالَ له موسىٰ عليه السلام: اِهْبِطْ بسمِ الله.

* * * * *

الرجوع :

فلمّا نزل إلىٰ السَّماءِ الدنيا، نظر إلىٰ أسفلَ منه فإذا هو برَهَجٍ[١] ودخانٍ وأصواتٍ، فقال: «**ما هذا يا جبريلُ؟**» قال: هذه الشياطينُ يحومون علىٰ عيونِ بني آدمَ لا يتفكّرون في ملكوتِ السَّمواتِ والأرضِ، ولَوْلا ذلك لرَأَوُا الْعَجائِبَ.

ثم ركِبَ مُنْصَرِفاً[٢] فمرّ بِعِيرٍ[٣] لقريشٍ بمكان كذا وكذا[٤] وفيها جَمَلٌ عليه غِرارَتانِ[٥]، غِرارَةٌ

---

(١) الرهج: الدخان الكثير والأصوات المزعجة.

(٢) منصرفاً: أي ثم هبط لبيت المقدس فركب البراق حيث ربطه حال كونه راجعاً إلىٰ مكة.

(٣) عير: بكسر العين أي قافلة لتجار قريش راجعة من الشام إلىٰ مكة.

(٤) كذا وكذا: لم يسم المكان لكون الراوي نسيه.

(٥) غرارتان: تثنية غرارة، والجمع غرائر، وهي الجُوَالِق بجيم مضمومة فوَاو فألف فلام فقاف: الخرْج.

سوداءُ وغِـرارَةٌ بيضـاءُ، فلمّـا حـاذَىٰ العِـيرَ نَفَـرَتْ واستَدَارَتْ وصُرِعَ ذلك البعيرُ وانْكَسَـر، ومـرَّ بعِـيرٍ قد ضَلُّوا بَعِيراً(١) لهم، قد جمعه بنو فلانٍ، فسلَّمَ(٢) عليهم، فقال بعضُهُمْ: هذا صوتُ محمـدٍ، ثم أتـىٰ إلىٰ أصحابِهِ قُبَيْلَ الصبحِ بمكّةَ.

* * * * *

---

(١) قد ضلوا بعيراً: يعني ناقة أخذاً مما سيأتي، من أن ما ضلّ في قافلة الروحاء ناقة، ومعنىٰ (قد ضلوا) فقدوا.

(٢) فسلّم: يحتمل السلام الشرعي ويُحمل هذا علىٰ أن ذلك قبل تحريمه علىٰ الكفار، ويحتمل أنه حيّاهم بما كان وقع بينهم ولم يذكر أنهم ردّوا عليه السلام، ولم يتكلم هنا علىٰ القافلة الثالثة وهي قافلة التنعيم، وسينبه عليها فيما سيأتي، فيفيد أنه مرّ علىٰ ثلاث قوافل أولها قافلة الروحاء، والثانية قافلة الجمل ذي الغرارتين، والثالثة قافلة التنعيم.

الْمَوْقِفُ الأخيرُ:

فلما أصبح قَطع وعَرف أنّ الناسَ تُكذِّبُهُ، فقعد حزيناً، فمرّ به عدوُّ اللهِ أبو جهلٍ، فجاء حتىٰ جلس إليه، فقال له كالمُسْتَهْزِئِ: هل كان مِنْ شيءٍ؟ قال: «نَعَمْ»، قال: ما هو؟ قال: «أُسْرِيَ بي الليلةَ»، قال: إلىٰ أيْنَ؟ قال: «إلىٰ بيتِ المَقْدِسِ»، قال: ثُمّ أصبحتَ بين ظَهْرَانَيْنَا؟![1]، قال: «نعم»، فلم يرَ أنه يُكَذِّبُهُ مَخافةَ أنّه يَجْحَدُهُ الحديثَ إنْ دعا قومَهُ إليه، قال: أرأيتَ إنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ أَتُحَدِّثُهُمْ بما حَدَّثْتَني؟ قال: «نَعَمْ»، قال: يا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ هلُمُّوا، فَانْفَضَّتْ إليه المَجَالِسُ وجاءوا حتىٰ جَلَسُوا إليهِمَا، فقال: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِما حَدَّثْتَني به، فقال

---

(١) ظهرانينا: أي بين أظهرنا، والمراد بيننا.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قالوا: إلىٰ أَيْنَ؟ قال: إلىٰ بيتِ الْمَقْدِسِ»، قالوا: ثُمَّ أصبحتَ بينَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قال: «نَعَمْ».

فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ومِنْ بينِ واضعٍ يَدَهُ علىٰ رأسه مُتعجِّباً، وضَجُّوا وأَعْظَمُوا ذلك، فقال الْمُطْعِمُ[1] ابْنُ عَدِيٍّ: كُلُّ أَمْرِكَ قَبْلَ اليومِ كان أَمَماً[2] غيرَ قولِكَ اليوم، أنا أَشْهَدُ أنك كاذبٌ، نحن نضرب أكبادَ الإبلِ إلىٰ بيتِ الْمَقْدِسِ مُصعداً شهراً ومُنْحَدِراً شهراً[3]، تزعُمُ أنك أَتَيْتَهُ في ليلةٍ؟ واللاّتِ والعُزَّىٰ لا أُصَدِّقُكَ.

فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا مُطْعِمُ، بِئْسَ ما

(١) المطعم هلك كافراً.

(٢) أمماً: بفتح الهمزة والميم، أي خفيفاً سهلاً.

(٣) مُصعداً: بضم الميم وكسر العين، أي ذهاباً.
ومنحدراً: أي رجوعاً.

قُلْتَ لابنِ أخيكَ، جَبَّهْتَهُ(١) وكَذَّبْتَهُ، أنا أَشْهَدُ أنه صادِقٌ. فقالوا: يا محمدُ، صِفْ لنا بَيْتَ المَقْدِسِ، كيف بناؤُهُ؟ وكيف هَيْئَتُهُ؟ وكيف قُرْبُهُ مِنَ الجبلِ؟ وفي القومِ مَنْ سَافَرَ إليه، فذهب يَنْعَتُ لهم: بِناؤُهُ كذا، وهيئَتُهُ كذا، وقُرْبُهُ مِنَ الجبلِ كذا، فما زال يَنْعَتُهُ لهم حتىٰ التبس عليه النعتُ، فكُرِبَ كَرْباً ما كُرِبَ مِثْلَهُ، فجِيءَ بالمسجدِ وهو ينظر إليه، حتىٰ وُضِعَ دُونَ دارِ عَقِيلٍ أو عقالٍ، فقالوا: كَمْ للمسجدِ مِنْ بابٍ؟ ولم يكن عَدَّها، فجعل ينظر إليها ويَعُدُّهَا باباً باباً ويُعْلِمُهُمْ، وأبو بكرٍ يقول: صدقتَ صدقتَ، أَشْهَدُ أنك رسولُ اللهِ.

فقال القوم: أما النَّعْتُ فواللهِ لقدْ أصابَ، ثم قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: أَفَتُصَدِّقُهُ أنه ذهب الليلةَ إلىٰ بيتِ الْمَقْدِسِ وجاء قَبْلَ أن يُصْبِحِ؟ قال:

---

(١) جبهته: أي قابلته بالمكروه.

نَعَمْ، إنِّي لأُصَدِّقُه فيما هو أبعدُ مِنْ ذلك، أُصَدِّقُهُ بخبرِ السماءِ في غُدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ، فلذلك سُمِّيَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقَ.

ثم قالوا: يا محمد، أَخْبِرْنا عن عِيرِنا! فقال: **«أتيتُ علىٰ عِيرِ بني فلانٍ بالرَّوْحَاءِ قد ضلُّوا ناقةً لهم، فانْطَلَقُوا في طَلَبِها فانتهيتُ إلىٰ رِحَالِهِمْ وليس بها منهم أحدٌ وإذا بقَدَحِ ماءٍ فشربتُ منه[1]، ثم انتهيتُ إلىٰ عِيرِ بني فلانٍ بمكانِ كذا وكذا، وفيها جَمَلٌ أحمرُ عليه غِرارَةٌ سوداءُ وغِرارَةٌ بيضاءُ، فلما حاذَيْتُ العِيرَ نَفَرَتْ وصُرِعَ ذلك البَعِيرُ وانكسر، ثم**

---

(١) قوله: فشربت منه: هذا مشكل بأنه كيف ساغ له شربه بلا إذن أهله؟ وأُجيب بأنه اعتمد علىٰ عادتهم من أنهم لا يمنعون اللبن ممن مرّ عليهم فضلاً عن الماء، وكانوا يوصون الرعاة بأنهم لا يمنعون المارة اللبن فالماء أولى، وبأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم، فالكافرون أولىٰ.

انتهيتُ إلىٰ عِيرِ بني فلانٍ في التنعيم[١] يَقْدُمُهَا جملٌ أورقُ[٢] عليه مِسْحٌ أسودُ وغِرارَتانِ سَوْداوانِ وها هي ذِهْ[٣] تطلُعُ عليكم مِنَ الثنية» .

قالوا: فمتىٰ تجيء؟[٤] قال: «يومَ الأربعاءِ» ، فلما كان ذلك اليومُ أشرفَتْ قريشٌ ينتظرون العِيرَ، وقد ولَّىٰ النهارُ ولم تَجِئْ، فدعا النبيُّ صلى الله

(١) هذه عير ثالثة، ولم يتكلم عليها فيما مرّ، والتنعيم هو المسمىٰ الآن بالعمرة، وفيه المسجد المعروف بمسجد السيدة عائشة، قريب من المسجد الحرام بينهما نحو ثلاثة أميال، والآن صار حياً من أحياء مكة السكنية.

(٢) قوله جمل أورق: أي في لونه بياض إلىٰ سواد، والمسح جلال الجمل.

(٣) وها هي ذه: في إتيانه باسم الإشارة للقريب إشارة إلىٰ رجوع اسم الإشارة لأقرب القوافل لمكة وهي قافلة التنعيم، والثنية الطريق.

(٤) الظاهر أن السؤال عن القافلة التي دون الروحاء.

عليه وسلم فزِيدَ له في النهارِ ساعةٌ، وحُبِسَتْ له الشمسُ حتىٰ طَلعَتِ العِيرُ فاستقْبَلُوا الإبلَ، فقالوا: هل ضَلَّ لكم بَعِيرٌ؟ قالوا: نَعَمْ، قال: فَسَأَلُوا العيرَ الآخرَ، فقالوا: هلِ انْكَسرَ لكم ناقةٌ حمراءُ؟ قالوا: نعم، قالوا: فهل كان عندكم قصعةٌ مِنْ ماءٍ؟ فقال رجل: أنا واللهِ وضعْتُها فما شرِبَها أحدٌ منّا ولا أُهرِيقَتْ في الأرض. فرَمَوْهُ بالسّحرِ، وقالوا: صَدَقَ الوليدُ، فأنزلَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء: ٦٠].

وصَلَّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وقد جمعنا فيها بين روايتَيِ الشامي والغيطي مع التصحيح والضبط والتعليق.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المعراج في القرآن

وقد تَحدّث القرآن عن المعراج فقال سبحانه وتعالىٰ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾ [سورة النجم: ١ ـ ١٨].

وقد أقسم سبحانه وتعالىٰ بالنجم علىٰ عدم ضلال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال:

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وذلك رداً علىٰ الكفار حين نسبوه صلى الله عليه وسلم إلىٰ الجنون والشعر والكهانة، ولله تعالىٰ أن يُقْسِمَ بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلاّ بالله تعالىٰ.

والنجم هو الكوكب الطالع، والنجم أيضاً الثريا، والنجم من النبات ما نجم علىٰ غير ساق، والنجم الوقت المضروب.

وقيل: أقسم بالقرآن إذ أُنزل نُجوماً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع آيات وثلاث آيات والسورة، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة، وعلىٰ هذا سُمي القرآن نجماً لتفرقه في النزول.

وقال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما: أراد به النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزل ليلة المعراج، والهُوِيّ: النزول.

* * * * *

الدُّرُوس المُستَفادةُ من الرِّحلة

١ ـ فَضلُ النبي صلى الله عليه وسلم :

في معجـزة الإسـراء والمعـراج دُروسٌ عَظِيمـةٌ وأسرار جليلة. ومن أجلِّ هذه الدروس: فَضلُ هـذا النبي الكريم بما خصَّه الله تعالىٰ به من أنواع التكريم وليست هـذه الخصوصـية فقـط، ولكـن كـثير مـن المزايا والمناقب.

ومنها : أنَّ الله أخبره صلى الله عليه وسـلم بأنـه غفر له ما تَقدّم من ذنبه ومـا تـأخر، ولم ينقـل أنـه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك.

ومنـها : أنـه صـلى الله عليـه وسـلم أوّل شـافع وأوَّلُ مُشفّع، وهذا يدل علىٰ تخصيصه وتفضيله.

ومنها : إيثاره صلى الله عليه وسـلم علـىٰ نفسـه

بدعوته إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تَعجّل بدعوته في الدنيا، واختبأ هو دعوته شفاعة لأمته.

ومنها: أنَّ الله تعالىٰ أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢]، والإقسام بحياته صلى الله عليه وسلم يدل علىٰ شرف حياته وعزتها عند المُقْسِم بها، وأنَّ حياته صلى الله عليه وسلم لجديرة أن يُقْسَم بها لما كان فيها من البركة العامة والخاصة، ولم يثبت هذا لغيره صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أنَّ الله تعالىٰ وقّره في ندائه، فلم ينادِه باسمه، بل ناداه بأسنىٰ أوصافه صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وهذه الخصوصية لم تثبت لغيره، بل إنَّ كلاًّ منهم نُودِيَ باسمه، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ

وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[سورة الأعراف: ١٩]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل: ٩]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾[سورة هود: ٤٨]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة ص: ٢٦]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة مريم: ١٢]، ولا يخفىٰ علىٰ أحد أنَّ السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تُشعر بوصف من الأوصاف ولا بخُلقٍ من الأخلاق، كان من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف؛ أعزّ عليه وأقرب ممن دعاه باسمه الْعَلَمِ، وهذا معلوم بالعُرْفِ أنَّ من دُعي بأفضل أسمائه وبأخلاقه؛ كان ذلك مُبالغةً في تعظيمه واحترامه.

ومنها : أنَّ معجزة كُلّ نبي انصرمت وانقضت،

ومعجزة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم باقية إلىٰ يوم الدين.

ومنها : تسليم الحجر عليه وحنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم.

ومنها : أنه وجد في معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره، كتفجر الماء من بين أصابعه، فإنه أبلغُ في خرق العادة من تَفَجُّرِهِ من الحجر، لأنَّ جنس الأحجار مما يَتفجّرُ منه الماء، فكانت معجزاته صلى الله عليه وسلم بانفجار الماء من بين أصابعه الشريفة أبلغ من انفجار الحجر لموسىٰ عليه السلام.

ومنها : أنَّ الله يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، وأمته صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة، وقد أخبر الله تعالىٰ أنهم خير أمة أخرجت للناس، وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال

والأقوال والأعمال، فما مـن مَعرفـةٍ ولا حَالـةٍ ولا عِبادةٍ ولا مقالة ولا شيء يُتَقرَّبُ به إلىٰ الله عزَّ وجل مما دل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إليـه؛ إلاّ وله أجر من عمل به لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من دعا إلىٰ هدًى كان له من الأجر مثل أجور مـن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[١].

ولا يبلغ أَحدٌ من الأنبياء إلىٰ هذه المرتبة، وقـد جاء في الحديث: «**الخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»[٢].

فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد نفع شطر أهل الجنة، وغيره من الأنبيـاء إنمـا نفـع جـزء الشـطر؛

---

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة حديث (٢٦٧٤).

(٢) رواه البزار في مسنده حديث (٣٣١٥)، وأبو يعلىٰ في مسنده حديث (١٩٤٩) كذا في مجمع الزوائد ١٩١/٨.

كانت منزلته صلى الله عليه وسلم في القُربِ علىٰ قدر منزلته في النفع، فما من عَارفٍ من أمته؛ إلاَّ وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر معرفته مضافاً إلىٰ معارفه، وما من ذي حال من أمته؛ إلاّ وله مثل أجره علىٰ حاله مضموماً إلىٰ أحواله صلى الله عليه وسلم، وما من مقالٍ يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ؛ إلاّ وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر ذلك القول مضموماً إلىٰ مقالته وتبليغ رسالته، وما من عمل من الأعمال المقربة إلىٰ الله عزَّ وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وَبَرٍّ ومعروف وذكر وصَبرٍ وعفو وصفح؛ إلاّ وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر عامله مضموماً إلىٰ أجره علىٰ أعماله، وما من درجة عالية ومرتبة سنية نالها أَحدٌ من أمته بإرشاده ودلالته؛ إلاّ وله مثل أجرها مضموماً إلىٰ درجته ومرتبته صلى الله عليه وسلم، ويتضاعف ذلك بأنَّ من دعا من أمته إلىٰ هدًى أو سنَّ سنة حسنة، كان

له مثل أجر من عمل بذلك علىٰ عدد العاملين، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا ﷺ لأنه دلَّ عليه وأرشد إليه، ولأجل هذا بكىٰ موسىٰ عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غَبَط به النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسىٰ عليه السلام، ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة.

ومنها: أنَّ الله عزَّ وجَل أرسل كُلَّ نبي إلىٰ قومه خاصة، وأرسل نبينا صلى الله عليه وسلم إلىٰ الإنس والجنِّ، فلكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلىٰ أمته، ولنبينا صلى الله عليه وسلم ثواب التبليغ إلىٰ كل من أرسل إليه، تارة بمباشرة الإبلاغ، وتارة بالسبب إليه، ولذلك امتنّ الله عليه، فقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٥١] ووجه الامتنان أنه لو بعث في كل قريةٍ نذيراً لما حصل لرسول الله ﷺ إلاّ أجر إنذاره لأهل قريته.

ومنها: أنَّ الله تعالىٰ كلَّم موسىٰ عليه السلام

بالطور وبالوادي المقدس، وكلَّم نبينا صلى الله عليه وسلم فوق سدرة المنتهىٰ وفي المقام الأعلىٰ.

ومنها : أنه قال صلى الله عليه وسلم: «**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق**»[(١)].

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر السؤدد مطلقاً فقد قيده بيوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**»[(٢)].

---

(١) رواه النسائي في كتاب الجمعة باب إيجاب الجمعة، حديث (١٣٦٨).

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فرض الجمعة، حديث (١٠٨٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، حديث (٢٢٧٨).

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة حتىٰ إبراهيم عليه السلام.

ومنها : أنه قال صلى الله عليه وسلم: **«سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»**[١].

ومنها : أنه يدخل من أمته صلى الله عليه وسلم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره.

ومنها : الكوثر الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم في الجنة والحوض الذي أعطيه في الموقف.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه حديث (٣٨٤).

ومنـها : قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: «**نحـن الآخرون السابقون**»(١) أي الآخرون زمانـاً السـابقون بالمناقب والفضائل.

ومنـها : أنـه صـلى الله عليـه وسـلم أُحِلّـت لـه الغنائم ولم تحلّ لأحد قبله، وجُعلت صفوف أمتـه كصفوف الملائكـة، وُجعلـت لـه الأرض مسـجداً وترابها طهوراً.

* * * * *

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة حديث (٨٥٥).

٢ ـ إِمامتُهُ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

ومن أعظم مناقبه وخصائصه صلى الله عليه وسلم: إمامته للأنبياء في الصلاة.

فقد تضافرت الروايات أنه صلى الله عليه وسلم صلّىٰ بالأنبياء في بيت المقدس قبل عروجه، وجاء أنه صلى الله عليه وسلم صلّىٰ بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً، وصححه الحافظ ابن كثير، ولا مانع أنه صلى الله عليه وسلم صلىٰ بهم مرتين فإنَّ بعض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد المعراج، وهذه الصلاة التي صَلاّها النبي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الصواب أنها المعروفة ذات الركوع والسجود، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنها كانت من النَّفل المُطلق، أو كانت مفروضة عليه

قبل ليلة الإسراء.

قال شيخنا السيد محمد أمين كتبي:

والله أكرمه برؤيـة وجهـه

وكلامه وإمامـة السـفراء

وقال:

يـا ليلـة الإسـراء نـال نبينـا

فيكِ الإمامـة وهـو خـير إمـام

صلَّىٰ بجمع الأنبياء، وقـام في

محراب مسـجدهم أجـلّ قيـام

وهذه الإمامة بالأنبياء دليل عظيم علىٰ قدره الكريم ومقامه العظيم صلى الله عليه وسلم، ودخول جميع الرسالات الإلهية تحت رسالته وانضواء جميع الرسل، وهم سادة البشر تحت لوائه، فتكون نبوته ورسالته عامةً لجميع الخلق من

زمن آدم إلىٰ يوم القيامة، فيكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله صلى الله عليه وسلم: «**بُعثت إلىٰ الناس كافة**»(١) لا يُختص به الناس من زمانه إلىٰ يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً، ويتبين بذلك معنىٰ قوله صلى الله عليه وسلم: «**كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد**»(٢) وقد دل علىٰ ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨١].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/٣٠١)، حديث (٢٧٤٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب المغازي، باب ما جاء في مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٣٦٥٥٣).

فهذا الميثاق له صلى الله عليه وسلم كالبيعة التي تؤخذ من الناس للخلفاء.

فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي ﷺ من ربه سبحانه وتعالىٰ، فإذا عرفت ذلك؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبياء، وظهر ذلك في الآخرة حيث كان جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء حيث كان صلى الله عليه وسلم صلىٰ بهم.

ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وجب عليهم وعلىٰ أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فلو وُجد في عصرهم؛ لزمهم اتباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان علىٰ شريعته وهو نبي كريم علىٰ حاله، ولكنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، بالقرآن والسُّنّة. وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة، وهو

نبي كريم علىٰ حاله لم ينقص منه شيء.

وكذلك لو بُعث النبي ﷺ في زمانه، أو في زمن موسىٰ وإبراهيم ونوح وآدم، كانوا مستمرين علىٰ نبوتهم ورسالتهم إلىٰ أممهم، والنبي ﷺ نبي عليهم ورسول إلىٰ جميعهم، فنبوته ورسالته أَعمُّ وأشمل ومتفقة مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف.

وبهذا يظهر أنَّ قوله صلى الله عليه وسلم: «**بُعثت إلىٰ الناس كافة**»[1] يشمل جميع الناس من قبل زمانه إلىٰ قيام الساعة، وأن نبوته صلى الله عليه وسلم قائمة ثابتة لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من يوم أخذ الميثاق وليست لمجرد العلم فقط.

* * * * *

---

(١) سبق تخريجه ص٩٩.

٣ ـ دَرسٌ في الصلاة :

ومن أعظم الدروس المستفادة في هذه الرحلة درس الصلاة، وبين فرضية الصلاة ومعجزة الإسراء والمعراج ارتباط دقيق وثيق يُناسب أن تُسمّىٰ فيه الصلاة: المعراج الروحي، فإذا كان معراج نبينا ﷺ بجسمه وروحه إلىٰ السماء معجزةً، فإنَّ الله تعالىٰ جعل للأمة المحمدية معراجاً روحيّاً في كُلّ يوم خمس مرات تَعرُج فيها أرواحهم وقلوبهم إلىٰ الرب سبحانه وتعالىٰ، يحققون به الترفع عن أهوائهم وشهواتهم، ويشهدون به من عظمة الله وقدرته ووحدانيته ما يدفعهم إلىٰ السيادة علىٰ الأرض لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة، بل عن طريق الخير والسموّ، وعن طريق الطهر والتسامي، وعن طريق الصلاة.

فليست الصلاة طقوساً ولا حركاتٍ آلية لا يعقل

لها معنًى، وإنما هي مدرسـة تُـربي المـؤمنين علـى أنبل معاني الخير والحب والفضيلة في زحمة الحياة وصخبها وشرورها.

والصلاة أعظم أعمال الإسلام، من حافظ عليها سعد وربح، ومن أضاعها شقي وخسر، فرضها الله تعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين لتكون صلة بحضرته وتذكيراً بعظمته، وشكراً له علىٰ نعمته، لذلك كانت أساس الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»**(١)، ولا عجب أن تكون الصلاة عنوان العمل، فإنَّ المداومة علىٰ أدائها كاملة بخشوع وخضوع لله تعالىٰ تغرس في النفس

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وذكره في «مجمع الزوائد» ٢٩١/١.

مراقبته عز وجل، ومن راقبه جل وعلا خشيَه واتقاه وأقبل علىٰ ما فيه رضاه فصَدَق إذا حدَّث، ووفىٰ إذا وعد، وأدَّىٰ الأمانة، وصبر عند النقمة، وشكر عند النعمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

فالعبد المحافظ علىٰ أداء الصلاة كاملة، لا يغفل عن مراقبة الله بالاشتغال بأعمال الحياة، وإنَّ من حافظ علىٰ أداء الصلاة بخشوع؛ غفر ذنبه وأحبّه ربُّه، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة**»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**من عَلِمَ أنَّ الصلاة**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٤١٣) حديث (٢٣٨٩٩)، والطبراني في الكبير (٤/١٢٦) حديث (٣٨٧٩).

حقٌّ واجب دخل الجنة»[1] ومن لم يحافظ علىٰ الصلاة حُرم في الدنيا نعمة البركة في العمر والتوفيق للخير، وعُذِّب بعد الوفاة بكسر رأسه بصخرةٍ كلما كُسر عاد كما كان، وجاء يوم القيامة بلا نور وبغير برهان علىٰ الإيمان فَحُرِمَ النجاة من العذاب والذُّلّ والهوان.

أيها المسلمون! اتقوا الله وحافظوا علىٰ الصلوات، وَأَدُّوها لله في أوقاته خاشعين، ولا يمنعكم من أدائها بردٌ ولا عمل، وجاهدوا أنفسكم حتىٰ لا تهملوا أداء صلاة الصبح لوقتها حيث يحلو النوم والكسل، وحتىٰ لا تهملوا أداء صلاة العصر حيث شدة التأثر بالعمل، واحذروا أن يشغلكم عن الصلاة المال

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/٦٠) حديث (٤٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/٣٥٨) حديث (١٦٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/٧٢) حديث (٢٤٣).

والتجارة والجاه والملك والحكم والوزارة، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾

[سورة النور: ٣٧].

روىٰ الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وابن حِبَّان في «صحيحه» عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف**»[1].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٦٩/٢) حديث (٦٥٧٦) وابن حبان في «صحيحه» كتاب الصلاة، باب ذكر الزجر عن ترك =

وروىٰ البخاري، ومسلم عن أبي موسىٰ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من صلّىٰ البَرْدين ـ الصبح والعصر ـ دخل الجنة**»(١).

وروىٰ البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقىٰ من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقىٰ من درنه شيء، قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس**

المرء المحافظة على الصلوات المفروضات (٤/ ٣٢٩) حديث (١٤٦٧).

وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٢) وزاد نسبته للطبراني في الكبير والأوسط.

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، حديث (٥٧٤).

ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث (٦٣٥).

يمحو الله بهن الخطايا»(١).

وروىٰ مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريـرة رضي الله عنـه أنَّ رسـول الله ﷺ قـال: «**الصـلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة كفارة لما بينهن مـا لم تغش الكبائر**»(٢).

وهذه الخصائص تدل علىٰ علو مرتبته صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث (٥٢٨).

ومسلم في كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، حديث (٦٦٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة...، حديث (٢٣٣).

والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس، حديث (٢١٤).

خاتمة

قال سيدي الوالد السيد علوي ابن السيد عباس المالكي الحسني:

قبسٌ مِن ضَوْءِ خيرِ العالَمين
شَعَّ في أُفْقِ الهُدَىٰ للنَّاظِرِين
فاستبانَ الحقَّ أربابُ النُّهىٰ
وبه صاروا هُداةً مهتدين
مَلؤوا الآفاقَ علماً وهدىٰ
ومَضوا فيها غزاةً فاتحين
وغدا الظلمُ صَريعاً خاسئاً
عندما أشرقَ عَدْلُ الراشدين

رَوضـــةُ القـــرآن ضـــافٍ ظلُّهـــا
وجَناهـــا قـــدْ دَنَـــا للقَـــاطفين
فُتِحَـــــــتْ أبوابُهــــــا زاهيـــــــةً
فادخلوهـــــا بســـــلام آمـــــنين
يا بـني الإسـلام سـعياً نجـتني
حكمة الـدِّين وإشـراق الـيقين
نـــدرسُ القـــرآن والســـنةَ مِـــن
هَدْي نورِ الكونِ ياسين الأمـين
جـلّ مـن أسـرىٰ بـه سـبحانه
من حمىٰ البيت مع الرُّوح الأمين
شَهِد الأسـرارَ في ذاك السُّـرىٰ
وأتَىٰ الأقصىٰ فَـأَمَّ المرسـلين
فَسَـلِ المحـرابَ عنـه سـاجداً
في حصًى يغبطـه الـدّر الـثمين

وسَـــلِ المعـــراجَ عنـــه رَاقِيــاً
فوقَ هامِ المجدِ وضّاءَ الجـبين
قد سما للمســتوىٰ الأعلــىٰ إلىٰ
قــاب قوســين بعــزم لا يلــين
خاطـــب الله وأدنـــاه فكـــم
نــال مــن فضــل وتأييـد مكـين
هـــذه الآيـــات يســمو سـرّها
تنشر الحكمة من أسمـح ديـن
معجـــزاتٌ خالـــداتٌ نورُهـــا
تشْرُف الدنيا بـه في كـل حـين
أعــرض الجهَّـال عنـها فعَمُـوا
ويحهــم لمــا تَوَلَّــوا مُعرضــين
ليت شعري هل دَرَوا أنّ الســنا
قد فرىٰ الظلماء بـالنور المـبين

يـا بـني الإسـلام سـعياً للعُلـىٰ
إنكـم جنـد إمـام المرسـلين
فانهضوا للمجـد حقّـاً وخـذوا
رايــة العلــم بــداراً بــاليمين
قَوِّموا الأخـلاقَ وارعَـوْا حقَّهـا
وانصرُوا الدينَ وحيّوا المصلحين
واقبلــوا مــني ثنــاءً عــاطراً
كـأريج الزهــر أو كاليـاسمين
ودعـــاءً كلمـــا رتّلتــــه
قالـت الـدنيا ومـن فيهـا أمـين
وصـلاة الله تغشـىٰ المصـطفىٰ
وعلىٰ الآل وصـحبٍ أجمعـين

* * * * *

ردمك : ٤ ـ ٥٩٥ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠